١٠٣١
دار م. النحاس

1031
HARLEQUIN
سلسلة قصص و روايات حب كبير

الامان في الحب

ساندرا فيلد

WWW.REWITY.COM
مرمورية

الأمان في الحب

ساندرا فيلد

«لقد قلت إنك تبحث عن زوجة. ولكنني لا أريد أن أكون زوجة أحد. لذلك لا يمكنك أن تتورط بأية علاقة معي لمجرد أننا نعيش في البيت نفسه.» أخذت تهذي بالكلام محدقة به. «منذ متى لم تقم علاقة مع أية امرأة، جوشوا؟»

«بصراحة، منذ زمن بعيد.» صرخ، وهو يريد أن يعانقها مرة ثانية ويضمها إليه، وهو يشعر بالكره تجاه نفسه ــ وتجاهها ــ لتلك الحاجة.

نظرت وكأن جوابه قد أشعرها بالراحة. «إذاً، لست أنا فعلاً. أية امرأة أخرى قد تفي بالغرض.»

إنه ملعون! لو هي تستطيع أن تتخلص من ذلك. «لا تكوني ساذجة!»

الأمان في الحب
ساندرا فيلد

بعد أن ترعرعت في كنف والدتها التي تزوجت وطُلِقت مع تعاقب الفصول، وجدت كليم ديلاني الأمان في كثرة العلاقات. فصديق مختلف كل ليلة يعني ان لا ارتباطات ولا حيرة ولا ألم.

كان جو ماكنيل يبحث عن زوجة. فبعد زيارة مرعبة إلى الجحيم على الأرض، أدرك أن الحياة هي هبة ثمينة ـ هي للمشاركة مع عائلة محبة. كل ما عليه القيام به هو أن يجد سيدة قلبه.

لم تكن كليم حتماً في الحسبان. لقد كرهته منذ أن كانت في العاشرة من عمرها، ولم تتغير مشاعرها نحوه منذ ذاك الحين. وبدلاً من أن يرى جو فتاة لا شأن لها، رأى امرأة جميلة واثقة من نفسها، تخشى الاستمرار في علاقة واحدة. هل يستطيع جو أن يثبت لها أن الحب يعني الاستمرار إلى الأبد؟

عناقه غير كل شيء

«لقد قلت إنك تبحث عن زوجة. ولكنني لا أريد أن أكون زوجة أحد. لذلك لا يمكنك أن تتورط بأية علاقة معي لمجرد أننا نعيش في البيت نفسه.» أخذت تهذي بالكلام محدقة به. «منذ متى لم تقم علاقة مع أية امرأة، جو؟»

«بصراحة، منذ زمن بعيد.» صرخ، وهو يريد أن يعانقها مرة ثانية ويضمها إليه، وهو يشعر بالكره تجاه نفسه ـ وتجاهها ـ لتلك الحاجة.

نظرت وكأن جوابه قد أشعرها بالراحة. «إذاً، لست أنا فعلاً. أية امرأة أخرى قد تفي بالغرض.»

إنه ملعون! لو هي تستطيع أن تتخلص من ذلك.

«لا تكوني ساذجة!»

ساندرا فيلد

كانت في ما مضى تقنية في البيولوجيا، إنها الآن تكتب في دوام كامل تحت إسمي جوسلين هالي وجين ماك لين. تعيش مع ابنها على الساحل الكندي الذي كثيراً ما تجعله مسرحاً تدور فيه أحداث كتاباتها. إنها تحب أسلوب الحياة الاستقلالي الذي يؤمنه عملها في الكتابة. فهي سيدة نفسها، تنظم أوقاتها، وهناك باستمرار فرص متاحة للسفر.

www.rewity.com

الفصل الأول

إن الرجلين الواقفين أمام مدخل الأمن المزدحم في المطار لا يعتبران كأب وولده.

كان غراهام ماكنيل في أوائل الستينات، رجلاً مألوفاً ذا شعر رمادي يوحي باللطف المنعكس من عينيه الزرقاوين اللطيفتين الجامعتين بين التسامح والذكاء. وبدلاً من أن يبدو مميزاً عن الحشد المتجمع حوله، بدا مندمجاً معه.

كان ابنه جو أطول منه بعشرة سنتمترات، وأصغر سناً بحوالى ثلاثين عاماً، ذا عينين زرقاوين داكنتين تتبدلان مثل أعماق المحيط، ولكنهما قلقتان كسطحه. بينما بدا الوالد متعباً، بدا الابن منهوك القوى وكأنه قد عانى من إجهاد نفسي لمدة طويلة جداً وأصبح على شفير الانهيار العصبي. أظهر معطفه البيج المشدود حول وسطه عرض منكبيه من دون أن يظهر كم كان قد خسر من وزنه؛ أما التجاعيد الظاهرة على وجهه فلم تكن موجودة منذ عام. وظهرت خطوط من الشيب على فوديه. بالتأكيد لم يبدُ عادياً، كما أنه بدا مميزاً عن الحشد المتجمع حوله. أخذ عدد كبير من مختلف النساء المنتظرات عند مدخل الأمن يرمينه بنظرة ثانية وربما ثالثة. كان واحداً من أولئك الذين يمثلون الرجولة الأشد تأثيراً لأن المرء يشك في أنه لم يكن واعياً تماماً لقدرته.

كان أبعد شيء عن فكر جو حتى الآن هو تأثيره على

الجنس الآخر. فقد قال لوالده: «هل أنت متأكد من رجوعك إلى فانكوفر؟ أنا متأكد من أنه وقت العودة إلى الوطن الآن... ولكن أهلاً وسهلاً بوجودك معي إذا كنت تريد ذلك.»

صاح غراهام وقال بصراحة: «لقد تركتني بعيداً فترة طويلة، هل هي شهران ونصف؟ الوقت الذي تركتك به لتحقيق رغباتك.»

حينها أجاب جو بقوة: «لم أفكر بتلك الطريقة يا أبي، لقد أنقذت حياتي... وهذا ما تعلمه جيداً.»

«الآن يا جو لا حاجة لنتطرق إلى هذا الموضوع.»

وضع جو يديه على كتف المعطف الكشميري الثمين الذي كان يرتديه والده وقال: «لقد قلت مرة ذلك، ولكن يجب أن أعيد وأكرر، لا أستطيع أن أفيك حقك لما فعلته لي في الأشهر الأخيرة... وكنت سأبقى في ذلك...» انتبه جو للكلمات التي كاد أن يتفوه بها، واستبدلها بهدوء: «كنت سأبقى في ذلك السجن لو لم تبحث في الأرض والسماء عني، وربما كنت سأبقى ست أقدام تحت الأرض في الأسبوع الأول بعد إطلاق سراحي لو لم تخطف تلك الطائرة الحكومية لتأخذني إلى لندن. لقد أنقذت حياتي، يا أبي.»

لقد ارتج صوته بعطف وقال: «لأشكرك على ذلك، الكلمات لا تعطيك حقك، أليس كذلك؟ ولكن هذا ما أستطيع قوله.»

وضع جو ذراعيه حول والده وعانقه مبدياً الارتباك نفسه الذي ظهر في كلامه. لقد كان والده على الرغم من معطفه الثمين غير مادي كما كان يتوقع، فشعر بموجة من الحب المؤلم والعنيف للمرة الأولى. وقبل أن يفقد جرأته قال: «لقد تجاهلتك لعدة سنوات... أنا لا أستحق ما تقوم به لأجلي.»

ربت غراهام على شعر ولده بيد مرتجفة وقال: «أنت ولدي سأرعاك، وأكرر ما قمت به في المستقبل. وأنا مسؤول أيضاً عن ذلك التجاهل الذي حصل.»

ابتسم جو ابتسامة عريضة محاولاً تخفيف التوتر وقال: «لا أتصور إنقاذي في الوقت المناسب.»

«صحراء إيران، غابات بابوا الممطرة في غينيا الجديدة، وبعدها أفريقيا.»

تكدّر وجه جو وقال: «أجل... افريقيا.»

قال غراهام بإلحاح: «اعتن بنفسك، هلا فعلت، يا جو؟ أتمنى لو تأتي إلى البيت معي... لتعيش معي ما شئت من الوقت، ولتستعيد نجاحك وقدراتك.»

اعترف جو وقال: «لا أدري ما الذي دفعني إلى البقاء هنا في هاليفاكس. أعرف أنني ترعرعت في هذه المنطقة وكانت موطني لعشرين عاماً. ولكن هذا كان من زمن بعيد... إنني متأكد من أن معظم أصدقائي غادروا إلى تورنتو، أو ڤانكوڤر.» تردد جو متسائلاً إذا كان والده سيقول له اهتم بشؤونك: «هل هاليفاكس ما زالت تحمل ذكريات سيئة لك؟»

بدا غراهام وكأنه كان مأخوذاً في ثنائي شاب يتبادل معانقة عاطفية على بُعد مئتي قدم وقال: «تستطيع قول ذلك... لا أستطيع أن أتعافى من ذكريات آرابيللا، يا جو. أعرف أنك لا تحبها... ولكنها كانت السبب في عدم زواجي ثانية. لم تعد لي رغبة في ذلك.»

كانت آرابيللا زوجة والد جو لسنتين قصيرتين. وكانت السبب في طلاق أبويه، حين تطلقت من زوجها الأول لتتزوج

من غراهام. «لا لم أحبها البتة، حينئذٍ كنت في الخامسة عشرة من عمري.»

«ومع ذلك كانت هي سبب فراقنا، حتى بعد ذهابها.»

جو، رجل فاضل، لا يستطيع أن ينكر ذلك. «آسف لذلك... لقد أضعنا سنوات كثيرة. هل عندك أية فكرة عما حدث لها؟ أو أين هي؟»

«أبداً، لقد اعتقدت بأنها تركت أثراً... لكن ما الفائدة؟ عمري اثنان وستون، يا جو، وأعتقد بأنها سعيدة بزواجها.»

«لا أتصور أن موقفي كان سيساعد في ذلك الوقت.»

ابتسم غراهام وقال: «آه إن ابنتها تكرهني، كما تكره أنت آرابيللا.» هز غراهام كتفيه غير مبالٍ وقال: «الكلام عن الحياة الزوجية السعيدة ربما شيء لم تجربه بعد، فأنا لا أمانع أن أصبح جداً الآن، لذلك يجدر بك أن تفكر بالموضوع.»

ابتسم جو بدوره ابتسامة ظريفة وقال: «إن هذا الموضوع هو ما أفكر به الآن، فأنا بحاجة للاستقرار، يا أبي، ليكون عندي أطفال وزوجة، ولكن مشكلتي هي في إيجاد الزوجة المناسبة.»

ربت غراهام على كتف ولده وقال: «لا تستطيع الحصول عليها إذا لم تبحث عنها، يجب أن أذهب إلى مكتب الأمن لأني سأغادر المكان بعد خمس دقائق، اطلبني في أي وقت يا جو، في الليل أو النهار، وتعال لزيارتي حين تشعر أنك بحاجة إلي.»

كانت كلمات جو ممتزجة بمقدار كبير من الحنو

والعاطفة وقال: «سأفعل يا أبي، وأرجو أن لا تُرهق نفسك بالعمل.»

تعانق الوالد وابنه للمرة الثانية وتوجه غراهام لتقديم جواز سفره إلى الملازم بعد أن حيّا ولده بيده وغاب عن الأنظار.

حمل جو حقيبته التي تحتوي على ملابسه الجديدة واتجه نحو سيارة الأجرة التي تقف في آخر الطريق. كان قد حجز مسبقاً غرفة في فندق، ولكنه عزم على أن يبدأ البحث عن شقة ليسكن فيها بعد أن يستقر.

ربما أثناء طريق العودة يستطيع جو أن يتبين ما الذي يقوم به في هاليفاكس... والدافع الغريب الذي جعله يعود إلى المدينة التي ولد بها.

كان المنزل الجديد مناسباً تماماً.

وقف جو أمام البوابة الكبيرة، وإذ برياح نيسان الباردة تعزل الأوساخ الموجودة في الميزاب ووصلت حادة إلى داخل معطفه، لقد نسي تقلب الطقس في الساحل الشرقي لكندا، وشدة الرياح الباردة التي تهب من الأطلسي.

كانت الحديقة التي تحيط بالمنزل مطوقة بسياج متداع في حين كانت غصون أشجار الصنوبر والقبقب تتمايل مع النسيم. وعلى الرغم من أن الثلج كان وسخاً ومتجلداً، كان متكدساً إلى جانب الحائط الشمالي للمنزل، بينما كان ذائباً على الجانب الجنوبي، وكانت هناك مجموعات من الزعفران الأرجوانية والذهبية اللون التي امتزجت بحبات الثلج مزهرّة تحت الشجيرات. تجمعت الطيور حول الجداول

قرب شجيرات الورد المتشابكة، وتصور جو نفسه جالساً على المقعد القديم تحت أشعة الشمس.

كان المنزل مبنياً على الطراز الفكتوري، طويلاً ذا ثلاث مداخن على سطح أخضر اللون، وبحاجة إلى ترميم كالحديقة التي كانت بدورها بحاجة إلى تنظيف. وتلألأت شمس الأصيل مرسلة أشعة ترحيبية إلى أطر النوافذ ناثرة اللمعان فوق الكراسي المصفوفة على الرواق الأمامي بانتظار الصيف.

كان جو يعتقد أن هذا البيت يناسبه، لذا قرر العيش فيه. وفكر بأن المعلن عن هذا البيت طلب الاتصال به بعد الساعة السادسة والساعة الآن السادسة والربع. فتمنى أن لا يكون قد سبقه أحد.

كان سلّم الشرفة بحاجة إلى دهان، وكان هناك جرس بجانب الباب، رنّ جو الجرس وسمع رنينه في الداخل في حين كان البيت مظلماً.

انتظر جو عدة لحظات قبل أن يقرع الجرس للمرة الثانية. ثم التفت إلى حيث يصدر صوت وقع أقدام، و... سمع صوت غناء قادم مع الريح. إنها امرأة.

رأى جو المرأة قبل أن تراه، كانت طويلة القامة ذات شعر بني طويل، وخطواتها مليئة بالطاقة والرشاقة، فهي المرأة التي كان جو متحمساً للتحدث معها.

لم يندهش جو حين دفعت المرأة البوابة بقوة ودخلت، وعند مشاهدتها له وقفت صامتة منذهلة.

أدرك أن لها الحق في الدهشة عند مشاهدتها لهذا الرجل الجسيم الذي لا تعرفه، والذي يقف عند مدخل دارها، حينها

قال: «جئت لأرى الشقة في الطابق العلوي، قال المعلن عنها إنه يمكن الاتصال به بعد السادسة.»

«آه.» هذا ما قالته حين أغلقت البوابة ومشت ببطء أكثر في الممر، كان معطفها أحمر اللون مع وشاح صوفي مزركش وبراق تلفه حول رقبتها، وقالت بتهذيب: «أخشى أنك كبدت نفسك المشقة من دون جدوى يا سيد... لأني لا أؤجر إلا النساء.»

حدّق جو بالمرأة وقال: «عفواً؟»

أجابت المرأة: «إني أؤجر النساء فقط، هذا ما أذكره دائماً في الاعلان... ولكني نسيت أن أذكر ذلك هذه المرة.»

كان جو يعد نفسه ليسمع خبراً مفاده أن الشقة قد أجرت... ولكن لا شيء يدعوه ليقتنع بعدم استحقاقه لاستئجارها كونه رجلاً، فقال: «لماذا لا ندخل إلى البيت على الأقل لنناقش الموضوع؟»

صعدت المرأة السلم ووقفت بجانبه، وقالت: «ليس هناك ما أناقشه معك، أنا حقاً متأسفة إذا سببت لك أي إزعاج، يجب أن أصحح الاعلان لنشره مجدداً غداً.»

قال جو: «إذن لم تجدي مستأجراً بعد.»

قالت المرأة: «أظن أن الناس يحاولون العثور عليّ من خلال اتصالهم بي هاتفياً، هلا عذرتني؟»

كانت المرأة تبحث في حقيبتها عن المفتاح، بقي جو واقفاً ينظر إليها. ولم يكن متأكداً كيف سيخرج من هذا الوضع، ولكنه كان متأكداً من شيء واحد ألا وهو عدم خروجه من هذا البيت دون استئجاره لمجرد أنه رجل.

دقق جو تدقيقاً سريعاً في وجهها... وبعدها أدرك بأنها

لن تغير رأيها، فهي تعني كلامها حين قالت إنه ليس هناك من موضوع ليناقش. سوف نرى، فكر وقال بهدوء: «الاسم ماكنيل، لقد أحببت ما شاهدته في الحديقة وحول البيت، فقد قررت أن أستأجر الشقة، وهذا ما يدعك توفرين ثمن إعلان آخر.»

وجدت المرأة المفتاح، ونظرت إليه بعينيها الرماديتين الباردتين وقالت وهي متجهمة: «لقد دفعت لثلاثة أيام. لن أؤجر شقتي للرجال. عمت مساء يا سيد ماكنيل.»

فتحت المرأة الباب بالمفتاح، وتركته مفتوحاً. حركته كانت سريعة بالنسبة لرجل كان قد عانى من مرض شديد في المدة الأخيرة، دفع جو نفسه إلى الداخل متجنباً أي اصطدام بها، ووقف بعيداً عنها ثلاث أو أربع أقدام تاركاً الباب مفتوحاً. وقال فيما أنفاسه تتسارع: «لا تخافي، الباب ما زال مفتوحاً وتستطيعين الخروج متى شئت، أنا فقط...»

«هل أبدو خائفة؟»

«لست خائفة بل غاضبة.» قال جو: «لا، هذا ما يجعلك غير ذكية... هل تعتبرين أني مجرم، لص، أو مغتصب، فأنا لست واحداً من هؤلاء. أنا مجرد إنسان يريد أن يستأجر بالقوة لأنه سيُلعن إذا عاد أدراجه وقبعته في يده لأنه ينتمي للجنس الآخر.»

اقتربت المرأة من الباب وأغلقته بعنف وقالت: «الآن يا سيد ماكنيل، تستطيع أن تستمع إلي...»

قاطعها جو قائلاً: «سأضاعف لك ما تطلبينه، وسأدهن لك السلم، وأزيل الأعشاب الضارة من الحديقة، الشيء الوحيد الذي لن أفعله، أن أرتدي تنورة.»

بارتجاف غاضب في أصابعها توجهت المرأة وأضاءت النور، أضاف جو تلقائياً: «ما هذا السلم الرائع!»

«أنا لم أدعك لبيتي لتعبر عن إعجابك في السلم، وفي الواقع أنا لم أدعك على الاطلاق، هلا سمحت وخرجت من هنا؟»

نظر جو إليها وكاد أن يقول لها إنها تبدو جميلة جداً، وأن يصف جمال عينيها اللتين تشبهان الغيوم. وبما أن مزاجها لا يُظهر أي تقبّل للإطراء أجاب: «لا.»

«إذن سأتصل بالشرطة.»

أجابها جو: «سأخبرهم كيف تقصرين تأجير شقتك على النساء فقط. إني متأكد من أن صاحب الأرض، ولجنة المستأجرين لن يكونوا متعصبين لجنس المستأجر إذا كان ذكراً أم أنثى، حتى منظمة حقوق الانسان لن تفعل ذلك، ومن الممتع أن نرى ما سيفعله المحامون في هذا الموضوع.»

توجهت المرأة نحو الهاتف وأمسكت بقطعة بلاستيكية حمراء وقالت: «إنني أعمد إلى تأجير شقتي منذ خمس سنوات للنساء فقط ولم يعترض أحد.»

«ما الذي يجعلك تهاجمين الرجال؟»

«لا شيء! كما ترى، الطابقان العلوي والسفلي غير منفصلين عن بعضهما البعض، لذا فأنا أشعر بالراحة إذا أجرتها للنساء لا للرجال.»

قال جو: «الإنعزال هو ما سأفعله هنا، وتأكدي من أني سأحترم عزلتك. لذا لا أتصور أن تصميم البيت هو المشكلة.»

قالت المرأة بلطف: «إنك تعلم أنك جريء. لقد عرضت أن تدفع لي ضعف ما أطلبه وأنت لا تعلم كم هو المبلغ المطلوب، دفعت بنفسك هنا كاللص، وبعدئذٍ تتهمني بعدم التصرف بالطريقة القانونية. أرجو المعذرة إذا قلت لك بأنك لست المستأجر المثالي الذي أريده أن يسكن عندي.»

ابتسم جو وقال: «هذا السبب الذي يجعلك مخطئة. أستطيع أن أقدم شهادة بمؤهلاتي مع شيك برصيدي، فأنا لا أدخن ولا أقيم الحفلات، ماذا تريدين أكثر من ذلك؟»

«ربما صوت نديّ.»

ضحك جو من قلبه وقال: «صوتي صداح... شيء ما في الحياة غير ثابت، فأنا لا أستمع إلا لموشحات هانديل.»

هناك نور جليّ في عينيها جعلها تقول بعناد: «أحب أن أؤجر للنساء فقط، لأن الرجال سوف يسببون لي الازعاج. لن يكون بمقدوري التجول في حرية في شقتي حين أكون في ثيابي الداخلية.»

«ولن أستطيع أنا، من مبدأ المساواة.»

«أنا لا...» رن جرس الهاتف في الغرفة الثانية فما كان منها إلا أن انتفضت من مكانها مستأذنة.

انتظر جو عودتها. قد يكون المتصل امرأة، فكر، وقد يخسر فرصته للسكنى في بيت شعر بشكل غريزي أنه سيكون مصدر شفائه. وفي اللحظة نفسها شعر جو بموجة من التعب الشديد، وأخذ يتنفس بصعوبة لاعناً ضعف بدنه، فهو يعاني من ضعفٍ في ركبتيه، حتى أن الطبيب في لندن أخبره بأنه ليس هناك داعٍ للقلق لأنه سيستعيد قوته فور خلوده للراحة.

أغمض جو عينيه والرياح تغزو البيت، وكان مواء القطة يعلو على صوت المرأة، حينها فقد توازنه وجلس.

«هل أنت بخير سيد ماكنيل؟»

فتح جو عينيه، ودفع بنفسه نحو الحائط. كان الضوء يظهر الدوائر السوداء والشاحبة التي أحاطت بعينيه. وبكل ما بقي لديه من قوة رفض أي نوع من العاطفة كانت المرأة تحاول منحه له، وقال: «أنا مريض... هل هي مستأجرة تلك التي كلمتك على الهاتف؟»

«إنها امرأة حساسة، تشعر بالنفور من القطط، فأنا لديّ اثنتان، هل تشعر أنت أيضاً بالنفور من القطط يا سيد ماكنيل؟»

كانت عيناها ساحرتين ولكنهما خاليتان من أية عاطفة، نظر جو نحو الأسفل باتجاه القطة القابعة بجانب قدميها مشاهداً جمالها. «لا.»

قالت: «تبدو رهيباً.»

نظر جو إليها باستياء، بدت ملاحظتها بعيدة عن العاطفة. قال بعدما قرر أن الحقيقة قد تفيد: «لقد كنت أقيم في المنطقة الاستوائية، حيث أصبت بمرض الملاريا. لكن أنا في شك من أمري إذا كانت ستعاودني تلك الحالة من جديد، وإذا كان لا بد منها فأنا أملك كل ما أحتاج من أدوية... ولن أتسبب بأي إزعاج لك.»

«هل أنت موظف؟»

لم يتعجب جو من سؤالها لأن لها الحق به كمالكة: «أنا الآن في إجازة مرضية، وخلال ثلاثة أشهر عليّ أن أختار بين العمل في تلك الشركة البترولية التي عملت فيها كمحام لمدة عشر سنوات... وبين عمل آخر، وفي رأيي الخاص

علي أن أستقل بعمل خاص بي. لذلك سأوقع عقداً معك لمدة ثلاثة شهور وسأسدد قيمة إيجار مدة ستة شهور. وهكذا، إذا غادرت قبل منتصف الصيف، أكون قد سددت لك قيمة الإيجار حتى فصل الخريف، مما يُتيح لك تأجير طلاب الجامعات وبذلك لن يعود لديك أية مشكلة.»

أجابته المرأة: «إنك عنيد جداً، هل تريد أن ترى الشقة؟»

«إذن أنت تعنين بأنك موافقة على تأجيري الشقة؟»

أجابته: «ربما لن تعجبك!»

«إذا كنت أنا عنيداً، فأنت مثيرة جداً!»

«ليست هذه المرة الأولى التي أسمع بها هذه الكلمة، هيا لنسرع لأن لدي موعداً عند السابعة والنصف.»

خلعت المرأة معطفها ووضعته على عمود كان في الزاوية، وكانت مرتدية تنورة مخملية رمادية وكنزة متعددة الألوان، وتوجهت لترتقي السلم إلى الطابق العلوي. لديها ساقان جميلتان. بقي جو ينظر إلى السجادة وتبعها مستمعاً إلى مواء القطة التي كانت تتبعهما.

كانت الشقة تتألف من غرفة جلوس فيها مدفأة قرميدية، وغرفة نوم تطل على الشارع، مطبخ صغير مع حمام وشرفة. كانت الألوان في المنزل ألواناً دافئة، ومع أن الأثاث لم يكن ثميناً، إلا أنه كان مختاراً بعناية وبألوان متناسقة. كانت الشقة نظيفة، نظر جو إلى المرأة سائلاً: «ليس هذا كل ما تحتويه الشقة، أليس كذلك؟»

أجابت المرأة: «لا، هناك جناح آخر ولكنه غير مؤهل للسكنى. إن عبوسك هذا ذكرني بشخص ما، لا أعرف من هو!»

كان الاثنان واقفين قرب المدفأة تحت ضوء خافت

وقال: «لقد أتيت إلى هنا منذ يومين. لم أرك من قبل... أنا واثق من أنني لو فعلت لكنت تذكرتك.»

أجابته: «لغنائي.»

«لأي سبب آخر؟» هذا ما قاله جو ووجد نفسه يتساءل عن الشخص الذي ستخرج معه. لكان تذكرها لأكثر من مجرد الغناء، إنه يعلم ذلك، إن عينيها مصيدتان جميلتان تستحقان أن تسكنا في الذاكرة. وبقية ملامحها لم تكن لمجرد أن تعطي انطباعاً عن ذكائها وكبريائها، عن رشاقة جسدية ممزوجة بقوة داخلية. كانت امرأة تعرف نفسها حق المعرفة، فكر ببطء، وهي، بشكل نادر، تعجب بما تعرف.

رفعت المرأة رأسها وقالت: «هل قمت بفحص كامل لي؟»

«عفواً... لم أقصد التحديق بك.»

«إن الإيجار هو ستمائة دولار في الشهر متضمناً الإنارة والتدفئة، ولكن أنت ستدفع فاتورة اتصالاتك الهاتفية، ولن أطلب منك قرشاً إضافياً واحداً، لذلك يجب أن تصرف النظر عن فكرة مضاعفة الإيجار.»

إن تصرفات تلك المرأة تذكره بذكريات ميتة بالنسبة له، لا يستطيع التحديد، إن كانت لمكان معين أو لشخص ما، قال جو: «أنت تعنين ذلك، أليس هذا صحيحاً ومن الواضح أنك تستطعين أن تستخدمي المال.»

«ستمائة دولار في الشهر.»

إن هذه المرأة الجميلة ذات العينين الرماديتين والشعر الجميل متباهية جداً بنفسها. «كل ما ذكرته من مؤهلات وشيكات ستكون جاهزة عند ظهر الغد، سأرسلها إلى مكان عملك، وبعدها سآتي إلى هنا لأرى ما قررت.»

[illegible] المرأة بهدوء: «وإذا قلت لا؟»

اجابها جو: «لا تسالينني لماذا أريد العيش هنا، أريد أن أعيش في هذا المكان... لا أعرف لماذا! هذا بالتأكيد لا يعني بأني غير عاقل، فإذا قلتِ لا يا آنسة... تصوري حتى الآن لم أعرف أسمك.»

«الآنسة كليم ديلاني.»

تابع بهدوء: «إذا قلتِ لا يا آنسة ديلاني، أعدك بأني سأغادر دون أن أسبب لك أي إزعاج، ولن أعود ثانية.»

مدت يدها وقالت: «حسناً.»

مدّ جو يده ليصافحها ملامساً نعومة يدها وقال: «أين تعملين يا آنسة؟»

«في مركز الأم غوز للعناية، في شارع ليتون... في الجادة الشرقية.»

«سأكون هناك عند الظهر.»

نظرت كليم إلى ساعتها وقالت: «يجب أن أتناول العشاء، وأن استحم، وأن أطعم قطتي في خمس وأربعين دقيقة.»

ترك جو الغرفة محاولاً عدم المرور فوق القطة السوداء التي كانت تجلس في طريقه ونزل السلم، حينئذٍ قالت: «هناك حافلة ستغادر بعد عشر دقائق، فإذا أسرعت يمكنك الوصول في الوقت المناسب. إلى اللقاء سيد ماكنيل.»

كانت كليم تفكر بما ستفعله أكثر من تفكيرها بجو حيث سمعته يقول لها: «إلى اللقاء.» توقفت الريح وهبطت درجة الحرارة، فما كان منه إلا أن أزال الوشاح عن رقبته ووقف ينتظر الحافلة.

* * *

كان اسم المركز الذي تعمل فيه كليم مكتوباً على لوحة صفراء كبيرة بالألوان الأخضر والاحمر والازرق مع حاشية مزخرفة بالأزهار. وقف جو على الرصيف خارج المركز وأخذ يراقب ما بدا أنه نقاش حاد بين رجل والآنسة كليم ديلاني.

وقف جو في الزاوية. كانت الآنسة كليم مرتدية التنورة الرمادية المخملية ذاتها والكنزة المتعددة الألوان، كانت تضع يديها في جيبيها، وفكر بأن البرد شديد عليها وهي لا ترتدي معطفها. وبعدها لفت نظره ذاك الشاب الذي يقف بجانبها.

شعر بالكراهية نحوه منذ أن شاهده، شعره الأسود، وسترته الجلدية السوداء، والبنطال الأسود والحذاء الأسود، بدا جو مستاء من وجوده، تقدم نحوهما أكثر وراح يسترق السمع من دون خجل.

قال الشاب: «رأيتك البارحة في المولود في الرابع من تموز ، كيف تعطين ذاك الغبي موعداً، ولم ترضي أن تخرجي معي؟»

«براد، لدي الحق في اختيار الشخص الذي أريد أن أخرج معه.»

«حسناً، حسناً. سوف أحضر بعد العمل لنذهب إلى المطعم للغداء.»

«لا أستطيع، فأنا مشغولة.»

شبّه جو براد بالحية حين اقترب من كليم وقال: «ومع من ستذهبين هذه الليلة؟»

«أخبرتك يوم التقيت بك أنني لا أريد الاستقرار، لأني

أحب أن أتواعد مع عدة رجال، فإذا لم يعجبك ذلك، يجدر بك أن لا تذهب معي. هذا كان منذ أسبوعين، ولم أغير رأيي.»

«لن أسمح لأحد أن يشاركني بك.»

صاحت كليم قائلة: «أنت تتكلم وكأنك تمتلكني. لا لن أسمح لك بذلك! ولا أريد أن أتواعد مع أي إنسان يريد أن يفرض عليّ قيوداً.»

قال براد غاضباً: «أنت مجنونة، هل تعرفين ذلك؟»

أجابته كليم مذعنة: «إذن لماذا تريد الخروج معي؟ براد، أريد أن أدخل، لقد تجلدت من البرد.»

اقترب براد وحاول أن يقربها منه، وكانت عيناه الزرقاوان خاليتين من أي تعبير... «أنت...»

تدخل جو بتهذيب وقال: «مرحباً، كليم، لقد أحضرت لك الأوراق التي طلبتها.»

أدار براد رأسه وأخبر جو أين يجب أن ينتظر، ولكن جو لم يتعود ومنذ كان في الرابعة من عمره أن يرضخ لرأي أي إنسان وقال: «دعها تذهب.»

أنزلت كليم يدها ونظرت إلى جو وقالت: «أستطيع أن أهتم بنفسي! إنك تلفت الأنظار إلينا خارج المكان الذي أعمل به، وأنا في خطر التعرض للإصابة بذات الرئة من شدة البرد، أكثر من تعرضي للخطر من براد. تستطيع أن تعطيني الأوراق الآن، وأنت يا براد لا تأتِ إلى هنا ثانية.»

أخذت كليم الظرف الأبيض من جو ونظرت إليهما من دون تمييز، ثم ارتقت الدرج بسرعة، دخلت وأغلقت باب المركز خلفها.

بدأ براد بتوجيه الشتائم محدقاً بجو وأضاف: «تستطيع

أن تبتعد عن طريقي...» ثم خطا نحو الشارع واختفى. هز جو كتفيه غير مبالٍ ومضى ليبحث عن أي مكان ليتناول طعام الغداء. وكان في الوقت نفسه يفكر بما عرفه عن الآنسة كليم.

إذا كان براد هو الرجل الذي تخرج معه، إذن فهي ضعيفة في حكمها على الرجال.

لم تقدّر كونها أنقذت. إنها عصبية المزاج مع أنه قد علم ذلك لتوه.

راح جو يفكر بوضع كليم، فهي تملك بيتاً لا تستطيع دفع كل مصاريفه وحديقة كبيرة، ومع ذلك عليه أن ينتظر خمس ساعات قبل أن يعلم إذا كان سيسكن هذا البيت أم لا.

في تمام الساعة السادسة كان جو أمام البيت القديم في شارع وايموث. كان الضوء مشعاً في غرفة الجلوس، مما يعني أن كليم داخل المنزل، تقدم جو ورن جرس البيت.

فتحت كليم الباب، وأومأت له بالدخول، فدخل وأغلقت الباب بعنف. لم تتقدم كليم لتأخذ منه المعطف، وبدلاً من ذلك قالت: «لم تتذكرني، أليس كذلك؟ أنت لم تعرف بعد من أكون؟»

كان كلامها قاسياً بعض الشيء ولم يكن هذا هو الاستقبال الذي كان يتوقعه: «لا أستطيع القول إنني أفعل.»

«لماذا لم تخبرني بأنك جو؟»

«أنت لم تسأليني، فهل هذا مهم بالنسبة إليك؟»

«اسمي كليمينتينا. تينا لينتون، هذا قبل أن يتزوج أبوك من أمي.»

ذُهل جو وقال: «أنت إذن ابنة آرابيللا... يا إلَهي.»

«نعم، أنا ابنة آرابيللا. كنت أكره شجاعتك منذ كنت في العاشرة من عمري.»

قال جو: «يبدو أنك ما زلتِ تكرهينني.»

«أنت الوحيد الذي أخبرتني عما كان يجري من حولي... وبأن أباك كان على علاقة مع أمي، هل تتذكر هذا، أم لا؟»

كانت كليم تلهث بصعوبة، وكان صدرها ينتفض بقوة حتى أن جو حاول أن يتجاهل ذلك وقال: «أنت لست تينا، إنك جميلة!»

أجابته: «شكراً جزيلاً.»

وضع جو يده على رأسه مفكراً وقال: «لم أكن أعني...»

«بل هذا ما فعلته، جو.»

«حسناً، لقد فعلت لكن لا تغضبي، فتينا لينتون كانت فتاة بدينة تضع نظارة على أنفها، لم تكن تتكلم كلمة جميلة واحدة معي، هل تظنين بأني لم أتذكرها؟ مع هذا، فأنت لم تتذكريني؟»

«آخر مرة رأيتك فيها كنت كالأوباش، شعرك مصبوغ بلون أحمر خمري، وكنت تحاول أن تنمي شاربيك، فضلاً عن أنك كنت تريد أن ترتدي ثياباً كبراد... لا تتجرأ وتسخر مني!»

ضحك جو كثيراً مما جعله يعود بذاكرته عشرين عاماً إلى الوراء: «كنت أرتدي جينزاً ضيقاً، حتى أنه كان يتعذر عليّ الجلوس، واضع سوارين نحاسيين... وظننت أن أبي كان سيصاب بأزمة قلبية لما دخلت المنزل وشعري مصفف بتلك الطريقة.»

كان جو ما يزال يضحك حين قال: «وذلك من دون شك هو سبب ردة فعلي تجاه براد فقد كان متجسداً وكأنه أنا منذ زمن بعيد، انظري إلى ذلك الشاب، كليم ـ سأناديك كليم، فأنت لست تينا بالنسبة لي ـ إنه سيىء.»

«لا أذكر بأنني سألتك أن تقدم لي النصيحة، أو أن تسميني بأي اسم، إذا كنت تظن بأني سأدعك تعيش في بيتي، من حقك أن تُعيد التفكير بالموضوع!»

كان جو يتوق إلى ضم كليم إلى صدره وتقبيلها، ولكن تذكر بأنه مرّ على ذلك زمن طويل دون أن يقبل أحداً.

«انظري، هل نخرج لنتناول الطعام؟ فلدينا الكثير من الكلام يجب أن نقوله.»

«لا أستطيع، لأني على موعد.»

أجابها: «سينما جديدة؟»

«سيأتي دوغلاس ليدرس من أجل امتحانه.»

أجابها جو: «وما الذي يعرفه دوغلاس عن المولود في الرابع من تموز؟»

«ذهبت إلى السينما مع جيمي.»

«إنك تقومين بألعاب ميدانية.»

قالت: «إن الكثرة تغنيني عن الشجاعة وتجلعني أشعر بالأمان، إنك تغير الموضوع.»

نظر جو إليها بصمت وقال بهدوء: «يجب أن أتذكرك، لأن هناك شيئاً واحداً لم يتغير فيك... هو عيناك الجميلتان.»

وضعت كليم يديها على صدرها وقالت: «لا تبدل الحقيقة بالإطراء، جو... ما لم يتغير بي أبداً هو طبعي.»

ردّ جو قائلاً: «إني أقول الحقيقة. لك الحق أن تغضبي، أنا أدين لك باعتذار مضى عليه عدة سنوات. أنا لم أنس بأني أخبرتك بأن أبي وأمك كانا على علاقة مع بعضهما بعضاً... ولا حتى بأني كنت قاسياً. كنت مغتاظاً ومضطرباً، الأمر الذي دفعني للوقوف ضدك، ولم أعاملك معاملة حسنة، فأنا لم أنس تعابير وجهك حين أخبرتك... بدا الأمر صدمة لك. كان عمرك عشر سنوات فقط، وأنا كنت في الخامسة عشرة من عمري، خمس سنوات تعني الكثير من النضوج بالنسبة لي، ومع هذا فقد أحسست بالذنب للطريقة التي عاملتك بها، أنا آسف.»

طرفت عينا كليم وامتلأتا بالدموع، نظر إليها جو وقال بقسوة: «لقد ذُرف الكثير من الدموع، أليس كذلك؟ أنت. أمي. ولكنت أنا أيضاً ذرفت الدمع، لو لم أتخيل أن الأمر يتعارض مع رجولتي وشخصيتي.»

بحثت كليم في جيبها عن محرمة لتمسح بها دموعها وقالت: «لم تكن أمي وحدها المخطئة.»

«هل هذا ما قلته لك؟ أنا فعلاً متأسف يا كليم... أنا لم أقصد هذا، أنا لست متأكداً من أنها غلطة أي منهما.»

تنهدت كليم بقوة وقالت: «لمت أباك لفترة طويلة. لكنني أعتقد بأنك محق... لا يمكن أن يوجه اللوم لأحد.»

قال جو باستياء: «هذا ما أفكر به الآن، لأني أصبحت أكثر نضوجاً وتفهماً للأمور.»

قالت كليم: «أصبح الأمر شيئاً قديماً... منذ أن تركت أمي والدك وتزوجت من رجل آخر.»

«هل اسمه ديلاني؟»

«لا. آندي فوجير كان زوجها الثالث، وإريك ديلاني هو زوجها الرابع.»

خفضت كليم صوتها، وسمع جو همسها وقلبه يمتلىء رأفة بها. لم يستطع أن يعبر عما كان يجول في خاطره، فقد قال في نفسه: هذا هو السبب الذي دفعها للخروج ليلة مع دوغلاس وأخرى مع جيمي، ودفع براد لأن يعرض نفسه عليها ليخرج معها، فسأل جو كليم: «هل أمك ما زالت متزوجة من السيد ديلاني؟»

رفعت كليم رأسها وقالت: «لا، لقد تركته وهي تعيش بمفردها منذ أربع سنوات.»

كان الضوء مسلّطاً على رأس كليم مظهراً جمال شعرها، فقال جو: «أنا فعلاً أريد أن أعيش هنا، كليم. واجهت الكثير من الصعوبات والمتاعب... ويجب أن أنظم حياتي من جديد. عندما أستعيد قوتي، سأغادر هذا المكان وأدعك ترتاحين مني.»

نظرت كليم في وجه جو وقالت: «قررت في البداية أن لا أدعك تسكن هنا.»

«أعرف.» حاول جو أن يجد الكلمات المناسبة التي تعبر عما يريد قوله من دون زيادة أو نقصان: «أريد أن أبقى هنا لنفسي، ولن أضايق أحداً، ولكن الآن أصبح لي هدف آخر وهو أني أرغب في إجراء بعض التصليحات هنا إذا استطعت ذلك، وإذا كنت لا تمانعين، فأنا سأكون خالياً من العمل في الأسابيع القليلة المقبلة. سأشغل نفسي في هذا البيت، سأصمم، أزرع بعض النباتات في الحديقة... ربما هذا سيخفف من التعاسة والغضب اللذين عانيت منهما في

السنوات الماضية... هل تفهمين ما أعني أم أنك تظنين أني فقدت عقلي؟»

صمتت كليم عدة لحظات، حينها شعر جو بدقات قلبه تقوى شيئاً فشيئاً وتنبض بصوت عالٍ، مما جعله متأكداً بأنها قادرة على سماعه، فجأة تغير لون وجه كليم، تفتح كما تفتح الوردة صدرها للشمس، تبسمت ابتسامة لم يرها من قبل وقالت: «أنا أعلم تماماً ما تعنيه، وأظن أنها فكرة حسنة.»

قال جو: «أنت كريمة جداً، كليم.»

على الرغم من خوفها من العاطفة التي ظهرت في صوته وهو يكلمها، قالت: «ليس هذا كرماً... هذا سيكلفك ستمائة دولار في الشهر لأدعك تصمم لي غرفة الطعام.»

خشي جو أن تغير كليم رأيها وسألها: «هل أستطيع المجيء غداً؟ كل ما سأجلبه معي هو حقيبة ثيابي، وهذا لن يأخذ وقتاً مني.» أما بقية الأغراض فقد أصبحت رماداً عندما أحرقت إحدى عصابات إفريقيا المخيم.»

أجابت كليم: «سأعطيك مفتاح البيت، وبذلك تستطيع الدخول والخروج متى شئت.» ثم أخذت تتكلم عن بعض الأمور كالمياه الساخنة في البيت، فقالت كليم: «إذا كنت أنا استحم، يجب أن لا تستعمل أنت المياه الساخنة في بيتك، والعكس بالعكس، وأنا سأقدر لك فعلك إذا جعلت استعمالك للمياه الساخنة في الليل فقط. وإذا حدث وفقدت مفتاحك، هناك مفتاح إضافي في المطبخ، هذا كل شيء.»

كان وجه جو خالياً من أي تعبير حين قال: «يجب أن نحذر الخروج في الثياب الداخلية... لقد نسيت ذلك.»

تمتمت كليم قائلة: «ربما كان براد على حق بأني

مجنونة... فقد نسيت أن ألفت نظرك إلى هذا الموضوع.»

وضعت كليم المفتاح في يد جو، ولم تغير رأيها هذه المرة وحينها قال: «ستتخلصين مني بعد ثلاثة أشهر، أعدك بذلك.»

قالت كليم متوترة: «لم تتغير أبداً، جو، تذكر بأني سأقبض شيكاتك في الأول من كل شهر.»

قال جو في نفسه: سأغادر قبل أن تدعوني كليم إلى ذلك، قائلاً: «حسناً، سأغادر الآن، وسأكون عندك غداً ظهراً، عمت مساءً.»

ترك جو كليم واقفة في الرواق في الهواء الطلق وهي لم تعرف السبب الذي جعلها توافق على تأجيره البيت... سار جو وأغلق الباب وراءه مردداً نغماً جميلاً في ذهنه: «انظر، البطل القاهر قد أتى.»

الفصل الثاني

مرّ أسبوع على إقامة جو في شقته الجديدة في شارع وايموث وكل ما كان يقوم به هو أن يستلقي كل ليلة على سريره وينام نوماً عميقاً، وكأنه لم ينم منذ ذاك اليوم المشؤوم عندما رأى أجسام أصدقائه مطروحة على الأرض...

استعاد جو صحته ونشاطه نتيجة النوم الجيد، وعندئذٍ ادرك كم كان يخشى أن ينهكه التعب والإرهاق في ذلك المكان. أصبح جو يستيقظ كل يوم من النوم بأمل جديد للشفاء أكثر من اليوم الذي سبقه، وأخذت موجة التعب التي كانت تنتابه بين الفينة والأخرى، تضمحل شيئاً فشيئاً.

استأجر جو سيارة أجرة بعد يوم واحد من مكوثه في البيت، واشترى بعض الحاجيات كالشراشف والمناشف، وفي اليوم الثاني اشترى النباتات والملابس، في حين أنه اشترى في اليوم الثالث سيارة حمراء جعلته يشعر بسرور هائل، كان يريد وضعها في مرآب كليم الكبير، وفي اليوم الرابع اشترى تلفازاً ولوحتين، الأولى لغرفة الجلوس وهي منظر للثلج المتراكم على سفوح الجبال العالية، والثانية لغرفة النوم وهي تنقل صورة البحر في أجمل حالات هدوئه، مما بعث الأمان والطمأنينة في نفسه.

ذلك المنزل القديم شغل كل وقته، وكما كان يتوقع منحه الهدوء.

www.rewity.com

مع ذلك، فقد كانت رفقة كليم قليلة جداً.

مع أن الباب الأمامي والرواق كانا مشتركين بينهما، فهو قلما يراها، وعندما يلتقي بها فهي تعمد إلى ملاقاته بشكل ودي عادي مع تلميح واضح بأن هذه العلاقة الودية لها حدود تفضل عدم تخطيها. فهو يرى أصدقاءها أكثر من رؤيتها.

كان جو قد التقى بجيمي عندما كان يشتري النباتات. جيمي هو مدرب كرة القدم في الجامعة. بعد يومين أحضر دوغلاس المطرقة وأخذ يعلق اللوحتين اللتين اشتراهما جو. شاهد جو كليم نهار السبت وهي تصعد سيارة المرسيدس الكبيرة، يرافقها رجل لم يره من قبل، أما كليم فقد كانت ترتدي ثوباً أخضر، وترفع شعرها عالياً مما جعلها تبدو جميلة جداً، وعندما عادت لم يرها جو بسبب انهماكه بتحضير العشاء، ومشاهدته للتلفاز.

في الأسبوع الأول تعرف جو إلى الهرين، القط الأسود كان يدعى آرمند، وروزبد هي القطة التي كانت تعزل نفسها دائماً، بينما كانت ترفع أنفها عالياً عند مشاهدتها لجو الذي أحب الهرين كثيراً لكنه لم يستطع أن يعتبرهما بديلاً من صحبة كليم.

جلس جو قرب المدفأة نهار الأحد وهو يقرأ كتاباً، وبعدها اتصل بوالده وأخبره عن التحسن الذي طرأ على صحته، وعن سروره في السكنى الجديدة وقال بترو: «أتعرف من هي صاحبة الشقة يا أبي... إنها ابنة آرابيللا.»

بعد عدة لحظات من الصمت قال غراهام: «أنت لست جدياً، جو.»

صمت جو بعض الوقت، ثم وصف له عدم معرفتهما لبعضهما بعضاً وقال: «آرابيللا تزوجت مرتين بعد طلاقكما، ولكنها تعيش بمفردها الآن... واسمها ديلاني.»

«أين هي ؟»

«لا أعرف، ولكن إذا أردت أن أعرف أستطيع ذلك.»

«اتصل بي حين تعرف مكانها!»

غيّر جو الحديث وقال: «سأتصل بابن خالي، بيتر، هل تتذكره؟ إنه ابن أخ أمي، أظنك تتذكره جيداً، وما زال رقم الهاتف معي، لذا سأتصل به وقد نلتقي في موعد أو اثنين، فهو في سني تقريباً، وأنا أتفق معه، هذا ما أتصوره.»

قال غراهام: «آه... حسناً، ابحث لي أولاً عن آرابيللا، أنت تعرف يا ولدي بأن هذا الخبر هو أسعد خبر سمعته في حياتي منذ وجدتك على قيد الحياة.»

كان صوت غراهام مفعماً بالشباب وكأنه لم يبلغ الثانية والستين من عمره.

«سأتصل بك يوم الثلاثاء على أبعد تقدير.» وعد جو والده وحاول بعزم تغيير الموضوع وقال: «كيف حال الطقس في ڤانكوڤر؟ يقولون بأنها ستثلج هذا العام من الخريف وحتى شهر نيسان.»

استمر حديث جو ووالده عدة دقائق أخرى، وبعد الانتهاء أخذ جو يحدق بالضوء ويفكر إذا كان والده يعي ما يفعله الآن... متذكراً أنه، عندما كان في الخامسة عشرة من العمر كان يصف آرابيللا بأنها امرأة فاسقة، دمرت سعادة عائلة بكاملها. أما الآن وقد فهم متطلبات الحياة، فقد علم بأن أمه كانت مقصرة أمام والده، ولذلك تزوج غراهام للمرة الثانية،

وعلى الرغم من ذلك شعر بسبب إلحاح والده لإعادة العلاقة مع آرابيللا التي تسببت بألم كبير للأشخاص الستة المقربين.

لم يفلح الكتاب في جذب انتباهه. نهض ورتب ثيابه، وسرح شعره، ونزل إلى الطابق السفلي، صاح جو وهو يقف على الشرفة: «كليم! هل أستطيع أن أحدثك لدقيقة واحدة؟»

كانت كليم واقفة في الغرفة الثانية وقالت لجو: «مهلاً، انتظر لحظة.»

كانت كليم تجفف شعرها المبتل مرتدية فستاناً شفافاً أخضر اللون مظهراً كل محاسنها، وكانت حافية القدمين.

قال لها جو حين رآها: «كيف تستطيعين تمرير المشط في شعرك؟»

قالت: «إني أستعمل أداة بلاستيكية كالتي تستعمل لتسرح ذيل الفرس وعرفها. لقد وضعت ابريق الشاي على النار... هل تريد كوباً من الشاي؟»

«بالتأكيد.»

بدا المطبخ قديماً وكأنه موجود منذ مئة عام، وكان مصنوعاً من خشب الصنوبر، وكانت حبات من الفريز مرسومة على ورق الجدران؛ كانت الستائر مخرمة ومتناسقة مع ألوان المطبخ، جلست كليم إلى الطاولة في المطبخ الذي كان يطل على الشارع، وهي تضع منشفة على رأسها، وقالت: «إن الشاي موضوع على الطاولة... تستطيع أن تختار النوع الذي تفضله.»

اختار جو علامة «الزنجر الأحمر» لأنه كان يفضلها، وأخذ يصب الماء المغلي في ابريق صغير آخر وُضع فيه الشاي... ثم حضر كل شيء على الطاولة أمام كليم التي

أنزلت المنشفة عن رأسها، وأخذت تطلي أظافرها، حينها سأل جو: «إنه الموعد الأعظم؟»

«لا... أنا نادراً ما أخرج يوم الأحد، لقد اشتريت هذا البارحة... أتظن، بأن لونه فاقع؟»

ابتسم جو وقال في نفسه ربما سأكون واحداً من أولئك الذين تصاحبهم كليم، مثل جيمي، دوغلاس أو صاحب المرسيدس وقال: «هل رأيت يوماً شجرة الزنبق الافريقية؟ صاحبة الزهرة القرمزية الكبيرة، فلونها يشبه لون هذا الطلاء.»

«أين تنمو هذه الزهرة؟»

وصف جو لها نبتة السافانا التي تنمو في افريقيا واستطرد متحدثاً عن الأراضي العالية في بابوا في غينيا الجديدة حيث المخيم الذي عاش فيه مدة سنتين. سكب جو كوباً آخر من الشاي، كانت كليم قد انتهت من طلاء أظافر رجليها وبدأت بطلاء أظافر يديها، وقال جو: «لقد اتصلت اليوم بأبي وكلمته عنك... فهو يقيم في ڤانكوڤر، ويريد أن يعلم المكان الذي تقيم فيه والدتك.»

تلطخ جلد كليم بالطلاء قائلة بصوت عالٍ: «لماذا يريد أن يعرف ذلك؟»

«إنه يريد التحدث إليها.»

«لا أرى أي موجب لذلك.»

«هل هي تعيش مع أحد... أي مع أي رجل؟»

«لقد قلت لك بأنها تعيش وحيدة!»

كانت عينا كليم الرماديتان قد امتزجتا مع عيني جو الملونتين وقال: «يجب أن يعرف عنوانها.»

أصبح لون خدي كليم قرمزياً كالطلاء الذي كان بين يديها وقالت: «يجب أن أستأذنها قبل أن أجيبك.»

«أظن أنها امرأة ناضجة وتستطيع أن تقرر بنفسها إذا كانت تريده أم لا.»

«إذن أنت تتهمني بالتدخل في حياتها.»

قال جو بهدوء: «أجل، أعتقد ذلك.»

«يكفيها ما واجهت من متاعب مع الرجال، فهي لا تحتاج...»

قاطعها جو وقال: «لماذا تستبقين الأمور وتقولين بأنها لن توافق.»

«أنا لم أقل هذا، جو!»

جلس جو إلى الطاولة وامسك بيدها وقال: «نحن لا نريد أن نتشاجر من أجل هذا الموضوع، كليم. فهو ليس موضوعنا.»

شعر جو بالغضب والاضطراب من رعشة أصابعها، حينها أمسك يدها جيداً وأخذ يربت عليها وقال: «لقد وقفنا في طريق سعادة أبوينا منذ ثماني عشرة سنة، فدعينا نترك لهما الفرصة هذه المرة.»

سحبت كليم يدها من بين يديه، وامتلأت عيناها بالدموع قائلة: «أنت تعرف جيداً كيف تثير أعصابي، أنا لا أبكي أبداً، للمرة الثانية في هذا الأسبوع تجعلني أبكي.»

لم يتفوه جو بكلمة واحدة مدركاً الشعور بالشفقة الذي انتابه، وتلك الشفقة حتماً سترفضها كليم. وسمعها تقول: «إني أشعر بالتعاسة لدى تحدثي بهذا الموضوع.»

قال جو: «حسناً، لا تهتمي له كثيراً.»

قالت كليم: «أنت لم تقل شيئاً جو ماكنيل، لأنك تقول ما تعرف فقط، اصمت وإلا ضربتك على رأسك، أفهمت؟»

أراد جو أن يضم كليم إلى صدره ولكنه كان يعلم رفضها مسبقاً وقال: «إنك تعجبينني يا كليمنتينا، تعجبني الطريقة التي تظهرين بها صدقك.»

دمعت عينا كليم وقالت: «سأحضر دفتر العناوين، لأني لا أتذكر شيفرة البريد.»

أزاحت كليم كرسيها إلى الوراء، ووقف جو أيضاً وسار حول الطاولة ليقف بجانبها وقال: «في أي وقت تريدين البكاء، يمكنك الاتكاء إلى كتفي حتى تشعري بالراحة... هل هذا حسن؟»

قالت: «لقد قطعت عدة عهود على نفسي بالنسبة لما يتعلق بالرجال، أحد هذه العهود هو أن أحتفظ بمتاعبي لنفسي.»

كان جو يريد أن يعرف ما هي باقي العهود التي قطعتها كليم على نفسها وقال: «أنت تعزين ذلك إلى الرجال الذين تتواعدين معهم، أنا مختلف كليم، فأنا أقيم معك هنا وأشعر بالمسؤولية تجاهك.» أمسك جو خصلة من شعر كليم وقال: «تستطيعين أن تتصرفي كما يحلو لك معي هنا.»

قالت كليم متنهدة: «لست متأكدة تماماً من ذلك.»

إن دقات قلبها كانت تجعل صدرها يرتج، لذلك حاول جو الابتعاد عنها وقال: «فكري بي وكأني أول أخ لك من زواج أمك.»

تمتمت كليم قائلة: «سوف أحضر لك العنوان.»

دخلت كليم الغرفة لإحضار العنوان، بينما جلس هو على

أقرب كرسي. إنه عازم على الاتصال بابن خاله اليوم، فكر مقطباً...

عادت كليم تحمل ورقة مدون عليها عنوان آرابيللا قائلة: «ستقوم بزيارتي في الشهر المقبل.»

أجاب جو وهو ينهض: «إنني أتأمل لقاءها ثانية. شكراً على الشاي.»

عندما أصبح في الطابق العلوي، اتصل بابن خاله الذي سُرّ لسماعه دعوة جو له للغداء نهار الثلاثاء، ودعوته لجو لحضور الحفلة التي سيقيمها مع زوجته ميندي السبت المقبل، قال بيتر: «أحضر صديقة معك يا جو. إنها حفلة ممتعة.»

قال جو: «هذا جزء من الأسباب التي جعلتني أتصل بك، فأنا لا أعرف أحداً هنا في هاليفاكس. الانثى الوحيدة التي أعرفها هي صاحبة البيت الذي أقيم فيه.»

«هل تقول إنك غير مرتبط وحر؟»

«أجل... أبي دائماً يضج بالحديث عن أحفاده.»

«هل أجلب لك شريكة يا جو؟ ساندي صديقة ميندي ستأتي إلى الحفلة، فهي تقيم في البيت الذي بجوارنا، إنها مطلقة، حتى أن أحد شركائي في شركة المحاسبة صاحبها لمدة... وهي لن تتردد لحظة واحدة في مصاحبتك. لا تعزو كل ذلك لفتنتك... فالموضوع هو في عدم وجود رجال متيسرين في هذه المدينة.»

فكر جو بأن كليم ستكون مناسبة وقال: «إذن، أراك يوم السبت يا بيتر.»

«أراك نهار الثلاثاء أيضاً، يسرني اتصالك، جو.»

وضع جو بعض الحطب في المدفأة وعاد يقرأ كتابه. فقد كان هناك هاتفان في المنزل أحدهما في الطابق العلوي والآخر في الطابق السفلي.

استرعى الكتاب الذي كان بين يديه انتباهه فلم يتركه إلا عند الساعة الثانية عشرة ليلاً، وعندما تقدم ليسدل الستائر، رأى الثلج يتساقط بهدوء وصمت، وكان هذا المنظر جميلاً لدرجة أنه لم ير مثيلاً له منذ زمن بعيد، وفي هذا الوقت تذكر جو والده فاتصل به ليخبره بعنوان آرابيللا. ثم ذهب للنوم.

استيقظ على صوت الرياح وصداها في البيت وسمع صوت ارتطام متناغم لا يعرف مصدره. فنهض وتقدم وفتح الستائر. رأى الثلج الأبيض في ضوء الصباح الرمادي، وقد تجمع وكأنه شبح فوق الأبنية والسطوح والمداخن. كان صوت الارتطام هو صوت الرفش الذي تستعمله كليم لإزالة الثلج العالي المتراكم أمام البوابة.

إنها السابعة صباحاً.

ضرب باب النافذة بسرعة يريد أن يسترعي انتباهها، ولكنها كانت منهمكة بإزالة الثلوج التي تراكمت طيلة الليلة الماضية من أمام البوابة. فكانت كلما أزاحت قليلاً من الثلوج عاد وتراكم قسط كبير منها، وتساءل جو عن سبب عملها بهذه الطريقة؟ فهي حتماً لا تستطيع الخروج إلى عملها.

كان سرير جو دافئاً، مغرياً داعياً للعودة إليه، ولكنه أبعد الفكرة عن رأسه وارتدى ثيابه مع معطفه الجديد وحذائه المطاطي الجديد، تاركاً الباب الأمامي مفتوحاً، ذهب إلى

الشرفة لإحضار رفشٍ آخر موضوع قرب الحائط فحمله ونزل السلم.

بعد لحظة واحدة أحس جو بأنه ما زال طفلاً صغيراً وقد استهواه المنظر الجميل، كان الثلج يتساقط على وجهه، فتح فمه تاركاً حبات الثلج تدخل إليه، حينها صاحت كليم: «هل تساعدني برفع الثلج المتراكم عن بوابة البيت؟ عندما أزيله أستطيع المغادرة.»

قال جو وهو يقطع الممر الطويل: «المغادرة؟ لماذا؟»

كان لون خدي كليم كلون الورود، فيما تجمعت حبات الثلج على شعرها وقالت: «طبعاً، أريد الخروج إلى عملي.»

قال جو: «أنت بحاجة إلى فنجان من القهوة، أعرف أني منذ وقت طويل لم أقم هنا في هاليفاكس، ولكن هذا يعطيني الدرجة الأولى لأقول لك بأن هذه هي عاصفة ثلجية، ولن يفتح أحد أبوابه اليوم.»

نظرت كليم إلى جو وهي متكئة على رفشها: «إن مركز الرعاية لن يُغلق أبوابه، فهناك أمهات يعملن بغض النظر عن حالة الطقس، وأحد الأمور التي اتفقنا عليها هي أننا لن نغلق أبوابنا بسبب العاصفة. كريستين تقيم في وايقرلي، ولويس في ساكفيل، وهما لن تستطيعا الوصول إلى هنا. إذن أنا مضطرة للذهاب لأحل مكانهما، ومع هذا فمصلحة الأرصاد الجوية أعلنت أن الطقس سيتحسن ابتداءً من بعد ظهر اليوم.»

بعد هذا الشرح المفصل عادت كليم لترفع الثلج من جديد، سألها جو: «هل الحافلات ستسير هذا اليوم؟»

قالت: «لا أظن ذلك، سأسير على قدميّ.»

«لقد أحضرت سيارة... سأوصلك إذا شئت.»

نظرت إليه وكانت تقاسيم وجهها معبرة عن الأمل والسرور: «هلا ساعدتني يا جو؟ لا أريد أن أتأخر... أظن أنني سأحتاج لوقت طويل لأزيل كل هذه الثلوج، فلقد جرفوا الثلوج من الشارع الرئيسي حتى آخر الطريق والشوارع المؤدية إلى هناك.»

قال جو: «أولاً سنزيل الثلج عن السيارة.»

كانا بعد عشرين دقيقة يسيران في الشارع، وكانت قطع الثلج ملتفة حول العجلات، كان جو مسروراً بهذا النهار الجميل متمنياً لو يستطيع أن يستبدل سيارته بحصان غالاهاد الأبيض. وبعدئذٍ رأى أكوام الثلج العالية التي تركتها الجرافات على حافة الطريق، وبينما كانت هناك مسافة صغيرة للوصول إلى الشارع الرئيسي، ظهر أمامهما حاجزٌ من الثلج مما جعل جو يقول لكليم بأن تغمض عينيها حتى تخترق السيارة هذا السد الكبير.

بدلاً من أن تغمض عينيها نظرت كليم إلى جو مبتسمة وقالت: «منذ متى قلت بأنك لم تقد في الثلج؟»

«منذ عشر سنوات... لكن هناك أشياء لن نستطيع نسيانها.»

«أعتقد أنك محق، جو.»

اخترقت السيارة الحمراء الثلوج، وقطعت المسافة إلى الشارع الرئيسي. ارتجت السيارة الحمراء وتوقفت وقفة رصينة على التلة بعدما ضربت ضربة خفيفة بالثلج المتراكم، حينها قالت كليم بعد أن لمست لوحة أجهزة القياس: «إذا حصلت على المال سأشتري واحدة كهذه.»

كانت كليم ترتدي معطفاً أزرق اللون وكان أنفها أحمر من شدة البرد. نظر جو إلى الأراضي البعيدة المغطاة بالثلج وقال: «إن أهلك يملكون أموالاً كثيرة، كليم.»

«لقد أعطوني ثمن هذا البيت، فهي أول مساعدة منهم لي، لكني لن أقبل المزيد. إن أبي تغير كثيراً بعد طلاقه من أمي... لقد ترك عمله واشترى مزرعة في أونتاريو. منذ عشر سنوات تزوج من ماريان التي كانت صغيرة الحجم وبدينة ولطيفة جداً. كان لديها ثلاثة أولاد وكانت هي وأبي لا يملكان المال الكافي، لذلك لم أرد أن أدعهما يشرعان بتحمل مسؤوليتي أيضاً.»

كانت ماريان تتميز عن آرابيللا بتصرفاتها الحسنة، فسأل جو كليم: «وآرابيللا؟»

قالت كليم باختصار: «أخذت نفقتها وتركته... انتبه، جو، اتجه إلى اليمين مكان الضوء.»

كان هناك جليد تحت الثلج على تقاطع الطريق، سار جو في المكان المناسب متمنياً لو أن آرابيللا تأتي لزيارة ابنتها اثناء وجوده في البيت... لأنه يريد أن يرى آرابيللا وكليم في غرفة واحدة.

كانت ثلاث نساء يسرن مع أطفالهن على الرصيف خارج مركز الرعاية، وكانت خطواتهن ترتسم على الثلوج، توقف جو إلى جانب الطريق آخذاً الرفش من المعقد الخلفي وقال: «افتحي باب المركز، وأنا سأجرف الثلج جانباً.»

«شكراً.» ضحكت كليم وقالت: «ليس هناك من أميرة متحررة في هذا العالم يمكن أن تُعامل بطريقة أفضل.» وصعدت إلى المكان حيث كانت النساء ينتظرنها.

تبع جو كليم منظفاً السلم بإزالة الثلوج عنه، وبعدها عن الرصيف ثم عن موقف السيارة حيث أمكنه إبعاد سيارته عن الطريق. عندما انتهى، صعد السلم وأزال الثلج من حذائه، دفع الباب. لم يكن الباب مقفلاً، فكر بأن براد أيضاً يمكنه الدخول إلى المركز كما دخل هو.

كان مدخل المركز دافئاً، انتزع معطفه ودخل.

كانت الحرارة قوية في الداخل من شدة الدفء. أخذت ألوان المركز من أثاث ولوحات مشعة، فجأة تتمايل أمام عينيه، ولم يعد يرى بوضوح فأدرك أنه يجب أن يجلس. الكراسي الوحيدة المتوافرة تناسب طفلاً بعمر ثلاث سنوات. اتكأ جو بظهره إلى الحائط وجلس على الأرض واضعاً رأسه بين ركبتيه، طالباً من الله أن لا تراه كليم على هذه الحالة. أخذ قلبه ينبض بسرعة وأنفاسه تتسارع وهو يلهث بقوة، فهي الحالة ذاتها التي كانت تنتابه في لندن، وهذه هي المرة الأولى التي تصيبه هنا.

اتكأ طفل صغير بجانبه، ولم يستطع جو أن يميز ما إذا كان ذكراً أم أنثى وقال: «انظر إلى هنا بسرعة.»

وحين نظر جو أمامه، وجد كليم تدخل إلى الغرفة وقالت: «روبين... أنا كنت... جو!»

جثت كليم على الأرض أمامه ووضعت يدها على جبينه الساخن حتى التصق وجهها بوجهه وقالت: «جو، ما خطبك؟ هل أنت مريض؟»

نظرت إليه ووضعت يدها للمرة الثانية على جبينه متنكرة للدور الذي كان يقوم به السيد غالاهاد.

«نسيت بأنك مريض يا جو، ولكنك كنت في حالة حسنة

في اليومين الماضيين، من الأفضل أن تذهب إلى البيت لترتاح.»

لم يكن جو يعتقد بأن كليم تهتم بأمره إلى هذا الحد، فقال وهو يشعر بغبطة في صدره: «سأبقى هنا. لأحميك يا كليم.»

قرفصت كليم وقالت: «عم تتحدث يا جو؟»

روبين، الذي لم يغب اسمه عن مسمع جو، جلس في أحضانه وراح يربت فوق ذقنه فأضاف: «هذا صبيّ أم بنت؟»

«إنه صبي، جو، ما بالك هل أنت تهذي؟»

توقف قلب جو عن الخفقان الشديد، ووضع رأسه على بطن روبين وقال لها: «أنت هنا بمفردك مع عدة أطفال صغار، كليم، وأنا لا أحب رؤية صديقك براد. امنحيني عشر دقائق وسوف أكون بخير. لن أدع براد يأتي إلى هنا مرة ثانية، وسترين ذلك.»

ضحك روبين وأخذ يمص اصبعه ووضع ذراعه حول جو وقال: «أنت ذكي.»

«أظن أنك بحاجة إلى راحة.» هذا ما قالته كليم.

«يستطيع أن يرتاح هنا، وأنا سأحرس المكان.»

«براد لم يأتِ إلي هنا يوماً!»

قاطعها جو قائلاً: «أنا باقٍ هنا يا كليم، وسأوصلك إلى البيت مساءً، وما تفعلينه بعد ذاك يرجع إليك.»

كانت كليم تلتهب من شدة القهر ولكنها قالت برقة: «هل تتذكر يوم زيارتك لأبيك وأمي بعد ستة شهور من زواجهما؟ يومئذٍ أخذت تلقي عليّ أوامرك كهذه التي تلقيها اليوم.»

«أنت لا تريدين أن تدفني الماضي، أليس كذلك؟»

حينها قالت كليم: «لدي عمل أريد أن أقوم به الآن، أرجو أن تفسح لي المجال لذلك.»

نام روبين على ذراعي جو وقال: «بابا.»

تلاشى الغضب من وجه كليم، وجلست عند رأس روبين وقالت: «إنه يتيم، ولذلك سيتعلق بك ويتبعك كيفما تحركت اليوم.»

في الغرفة الأخرى سمع صوت طفل يبكي ثم صوت تمزق ورقة فقالت كليم وهي تقوم من مكانها: «لا بد أنه مايكل.»

مرّ النهار بسرعة. لاعب جو روبين، وأخذ يقص القصص على طفلتين صغيرتين هما ايما ومارسي. وبعدها تناول الغداء الذي أعدته له كليم من الحساء.

كان طوال الوقت ينظر إلى كليم التي تجيد معاملة الأطفال ببراعة، ويراقب كيف توصلهم إلى الاستقرار والحنان بطريقتها الخاصة، وفكر بزيجات والدتها الأربع.

في الساعة الخامسة والعشرين دقيقة صعدت كليم السيارة مع جو واتجها نحو شارع وايموث، بعد أن انجلت الغيوم من السماء، وتوقفت الرياح.

الفصل الثالث

استلقى جو على سريره عند منتصف الليل، فيما النيران تتراقص في المدفأة، والإذاعة تبث سنفونية تشوبرت وهو يقرأ كتاباً لروبرت لودلوم. وكلما تصاعد صوت الموسيقى كان يضيف الحطب إلى المدفأة ويتأمل شرارات النار وهي تتصاعد في المدخنة. كان صوت الموسيقى يتصاعد شيئاً فشيئاً، وكان يتمنى دائماً لو يصبح عازفاً على البوق أو مايسترو لأية فرقة موسيقية...

«جو؟»

لقد توترت أعصابه لفترة طويلة عندما كان في السجن، فأسقط القضيب المعدني، الذي كان يُذكي به النار، على الأرض مما أحدث قعقعة.

كانت كليم تقف في المدخل وقالت: «آسفة، أنا لم أقصد أن أروّعك، لقد ناديتك مرتين ولم تجبني.»

شعر جو بالغباء عندما أظهر شيئاً كان يفضل أن يتركه خاصاً. في حين اخفض صوت المذياع قائلاً: «تشوبرت، يجب أن أخفض لك صوتك.»

كانت كليم ترتدي سروالاً من الجينز وقميصاً رجالياً، ومع ذلك كان وجهها وقميصها ذوي بقع متسخة، بينما كانت أناملها ما تزال قرمزية اللون، فقال جو مظهراً سروره لرؤيتها: «هلا تجلسين يا كليم؟»

حكت كليم أنفها وقالت: «لا أستطيع، إن الفرن لديّ معطل، هل تستطيع إصلاحه؟»

«إن الأماكن التي عشت فيها علمتني الكثير عن المكيفات، ولكن ما المشكلة في الفرن؟»

«إنه لا يعمل، مررت بالمصلح اليوم فقال إنه يريد خمسة وثلاثين دولاراً، فإذا كان هذا العطل بسيطاً وأستطيع إصلاحه فأنا لست بحاجة لمجيئه إلى هنا.»

فكر جو بأنه لا يعتبر الخمسة والثلاثين دولاراً مبلغاً كبيراً، فكيف هي التي تملك هذا البيت والتي ستأخذ مني ستمائة دولار إيجاراً للشقة.

ربما كان ما يفكر به منعكساً على تقاسيم وجهه، حينها قالت كليم مدافعة عن نفسها: «أنا لست بخيلة! لكني أريد أن أبني طابقاً آخر فوق البيت، هذا ما فكرت به السنة الماضية، وما زلت أجمع المبلغ الذي أحتاجه لبنائه.»

أصبح جو الآن يكوّن فكرة أخرى عن كليم وقال: «لا أظنك بخيلة يا كليم، أنت تعطين دائماً ولا تستغلين أحداً لتأخذي منه، إن البخلاء هم أولئك الناس الذين يجعلون أفواههم صغيرة كي لا يأكلوا كثيراً.»

ووجد نفسه يحدق بفم كليم الناعم والسخي... متسائلاً كيف سيكون الأمر لو لثمها...

تراجعت كليم خطوة إلى الوراء، وقالت: «أنت رجل مغضب يا جو، هل تعرف ذلك؟ فأنا لا أعلم ما الذي ستقوله بعد هذا؟»

توقف جو عن التفكير بلثم كليم، مكتشفاً كم هي تستحق أن يضمها بين ذراعيه، فهو يكره النساء الصغيرات لأنهن

يعتبرنه غير ملائم وغليظاً، وقال: «أنا عندي المشكلة نفسها معك... أين الفرن المعطل؟»

صاحت كليم وهي تستدير على عقبيها لتقود الطريق إلى الأسفل. كان السروال الذي ترتديه يُظهر مفاتنها، وما كان يلفت نظره هو أنها ليست كأولئك النساء السمراوات اللواتي رآهن في افريقيا.

يمر الطريق إلى البهو عبر المطبخ، وكان السلم ضيقاً ومجوفاً من جراء دوس الأقدام، والنور الضئيل كان معلقاً في أول السلم، أما باقي المكان فكان مظلماً. شعر جو أن أعصابه مشدودة، فقد كان السقف منخفضاً بحيث لا يستطيع المرور سوى منحنٍ. الأرض كانت متسخة وأحد الجدران كان مصنوعاً من ألواح الغرانيت الضخمة التي كانت إحدى ركائز البيت. تنفس جو تنفساً عميقاً وقال في نفسه، إنه مجرد طابق سفلي في هاليفاكس، بجانب كليم وليس في افريقيا، لذا يجب عليه أن لا يخاف لأنه في أمان.

نزلت كليم إلى المكان الذي كان فيه جو وهي محنية الرأس، وقفت إلى جانبه وقالت: «إن الفرن هناك في الزاوية، ولا يوجد نورٌ هنا، فقد كان يجدر بي أن آتي ومعي المشعل الكهربائي.»

انحنى جو أرضاً بعدما شعر بهبوط في ضغطه، فكل عصب في جسده كان يدعوه لترك المكان، تعثر جو وسمع كليم تقول: «أمامك هناك... هل تراه؟»

كان أمامه ممر طويل أسود يؤدي إلى الظلام. أخذ يتمسك بالجدران وقال بصوت عالٍ: «لا أستطيع الدخول إلى هناك.»

رددت كليم مرتين: «ماذا قلت يا جو؟»

«لا أريد الدخول إلى هناك، لقد أصبت بالخوف المرضي من الأماكن المظلمة.»

«ماذا تقول؟»

هذا ما أخبره به الأطباء في لندن، وهو جانب آخر من وضعه الصحي الذي يكره التحدث عنه. سوف يتلاشى مع الوقت، وليس هناك من داعٍ للقلق.

كانت كليم تقف بجانبه من غير أن يعرف بوضوح كيف استطاعت الوصول إليه، أمسكت ذراعه المتشنجة من الأعلى حتى معصمه وقالت: «كان يجب عليك أن تخبرني بذلك.»

كان جو متعباً لما يخفيه عنها من أمور، وتنفس من شدة إرهاقه وقال: «لقد أمضيت السنتين الأخيرتين في افريقيا... إحدى الجمهوريتين الجديدتين قرب الساحل... أعمل بطريقة شرعية في استخراج المعادن للشركة البترولية. وبعدها بدأت الحرب الأهلية التي دامت عدة سنوات، استأت مما شاهدته هناك من ظلم وقتل إلى أن زجوني في السجن. خمسة أشهر كنت فيها معزولاً في غرفة تحت الأرض... وهذا ما جعلني أمرض... وما جعلني لا أستطيع الوقوف حتى ولو لوقت قصير، وخاصة في الظلام.»

لقد عاش جو هذا الموضوع من جديد، مما جعل كليم تقاطعه قائلة: «تعال لنصعد إلى الطابق العلوي، وسأحضر لك شراباً، وبعدها سأحضر عامل التصليح ليصلّح الفرن.»

أمسكت كليم جو من معصمه بأناملها الناعمة متجهة به

نحو السلم، ولاحظت أن درجة حرارته كانت منخفضة إلى حد البرودة، كان النور ساطعاً في المطبخ، فقال جو بحدة: «لقد خرجت قليلاً بعد أن انتهيت من إزالة الثلج، وأنا لا أستطيع الاقتراب من الفرن، لأني أخاف من الظلام. هل تريدين تبديل المستأجر؟ لربما كان من الأفضل أن تؤجري لإمرأة.»

وضعت كليم زجاجة من الشراب على الطاولة، مما جعل السائل يصعد إلى الأعلى، وقالت: «جو، أنت ذكي، لكنك معقد بعض الشيء، إذا كنت أنا أقل قوة، هذا لا يعني بأني ضعيفة، يجب أن نصبر كي ننال ما نصبو إليه، ومع هذا كله لا أريد أن أغير أي مستأجر. الآن، تريد أن تأخذ الكوك أم الماء؟»

شعر جو بسعادة كبيرة معتقداً أنها لا تريد الابتعاد عنه، وقال: «الكوك إذا سمحت، لكن لا تضعي لي الكثير من هذا، وإلا سوف تحملينني إلى السرير.»

أعطته كليم المشروب وقالت: «بل سأدعك تنام هنا على الأرض في المطبخ.»

وبعدها اتصلت كليم بالرجل وقالت بأنه سيأتي بعد عشرين دقيقة.

شرب جو الكوب الذي بيده وقال: «لماذا تريدين تصليح هذا البيت إذا كنت قلقة على كل سنت من أموالك؟»

جلست كليم إلى الطاولة بالقرب منه، وكانت عيناها الرماديتان تحثانه على قبول تحديها له، وقالت: «لأني أحبه كثيراً.»

قال جو: «إن بيتاً قديماً كهذا بحاجة إلى ترميم بآلاف

الدولارات، وحديقته بحاجة أيضاً إلى توضيب، وهي كبيرة بالنسبة إليك، هذا ليس حباً للبيت بل حب المازوشية.»

صاحت كليم قائلة: «لقد اكتشفت شيئاً الآن، وهو السبب الذي يجعلني أفقد أعصابي، أنت إنسان فظ.»

أجابها جو بسخرية: «انسي هذا الموضوع يا آنسة... فلقد أمضيت أسبوعاً كاملاً بسعادة مع دوغلاس وجيمي، وذاك الشاب الغليظ صاحب المرسيدس، والدليل أنك كنت تدعين شعرك منساباً على كتفيك لتظهري أمامهم بأجمل مظهر، أليس كذلك؟»

«ذاك الشاب الغليظ صاحب المرسيدس، اسمه دونكان كوبلي! وهو أحد أكبر محاميّ المدينة...»

قال جو وهو يتأمل حبها للمقاتلة في عينيها: «غبية... إنك لا تعرفين شيئاً.»

قالت كليم معترفة: «إن أفكاره ما زالت رجعية. ولكن إصغاءه إلى السنفونيات يمنحه بعض النقاط الإيجابية.»

«ولكن هل سنفونيات هانديل تلامس روحه؟»

قالت كليم: «أنت تعرف أين تضع السكين، أليس كذلك؟ هل يزعك خروجي مع عدة أصدقاء مختلفين يا جو؟ لأن هناك الكثيرين لم تعرف عنهم شيئاً بعد.»

أظهر جو علامات الخوف على وجهه وقال: «وماذا إذا اخترت الزواج من أحدهم؟ هل ستبيعين البيت؟»

رشفت كليم من كوبها وقالت: «لا أريد الزواج، ولن أبيع البيت أبداً.»

«لِمَ لا؟»

سألته كليم والبريق في عينيها: «هل تريد فعلاً أن تعرف؟ لا بأس! الرواية المختصرة لحياة كليمنتينا لينتون - ماكنيل - فجير - ديلاني، هي أن والدها كان جندياً في القوات المسلحة. إن البيت الذي سكنا فيه في الشارع المتفرع من الجادة القريبة منكم كان البيت الخامس الذي اسكنه قبل أن أبلغ العاشرة من عمري. وعندما تزوجت أمي من أبيك، غادرنا إلى أونتاريو، إلى أن تطلقا، وتزوجت للمرة الثالثة من أندرو فوجير، وعشنا في مزرعته الكبيرة في البيرتا لثلاث سنوات. وبعدها تطلقا، وعدنا إلى تورونتو، وتزوجت للمرة الرابعة من إريك ديلاني، وعشنا في بيته إلى أن تطلقا، حينذاك تركت المنزل وذهبت إلى الجامعة في تورونتو، وبعدها إلى جامعة هاليفاكس، حيث أقمت في بيت الطلاب إلى أن استأجرت شقة، وفي نهاية تجوالي هذا انتقلت إلى هذا البيت بعد أن طلبت المال من أهلي، وكانت المرة الأولى التي أطلب فيها المال. هذا البيت ملكي، وسأعيش فيه بقية حياتي، ولن أنتقل إلى مكان آخر.»

قال جو بلطف: «ذلك يبدو منطقياً.»

«هل تريد أن تجادلني؟»

فكر جو متوقعاً ضربة منها إذا تكلم ثانية وقال: «لا.»

نظرت كليم إليه نظرة هادئة وقالت: «آه، عمر هذا البيت حوالى مئتي سنة، كان على قمة مزرعة كبيرة. الآن كل ما بقي من الأرض هو ملكي، ولقد طلب مني أحد مالكي الأراضي أن أبيعه نصف الحديقة ليبني بيتاً خيالياً من خشب الأرز، ولكني رفضت ذلك.»

كان كوب جو قد شارف على الانتهاء، وكاد أن يصل عامل التصليح، فقال جو معلقاً عليها: «أعتقد أن زواج آرابيللا لأربع مرات هو السبب الذي يدعك ترفضين فكرة الزواج.»

قالت بسخرية: «حسناً، طبعاً ولكن لا يجدر بك أن تكون عالماً نفسياً لتستنتج ذلك، أليس كذلك؟ فأنت تذكر حيناً الزواج، وحيناً آخر البقاء وكل هذا لا يعني لي شيئاً.»

وضع جو الكوب على الطاولة وقال: «هناك أشياء مشتركة بيننا، فأنا لم أقم في أي مكان متمدن لمدة عشر سنوات، وهذا ما جعلني متعباً، لقد أتيت إلى هاليفاكس لأستقر، وأجعل لنفسي جذوراً في هذه الأرض، وهنا تكمن نقطة الاختلاف بيننا، لأن الاستقرار بالنسبة لي يعني الزواج، والعائلة هذا كل شيء.»

سألته كليم: «ومن هي تلك المرأة التي ستصبح زوجتك وأماً لأطفالك؟»

«حتى الآن لم أجدها، فلم يمض على وجودي هنا سوى عشرة أيام.»

رنّ جرس البيت، وكأن ذلك جاء لينقذها وقالت ساخرة: «ستكون المرأة الأسعد حظاً.» وأسرعت لتفتح الباب.

اجترع جو ما تبقى في كأسه، ثم قدمت كليم عامل التصليح لتعرفه إليه. وبعدئذٍ عاد إلى الطابق العلوي.

تناول جو غداءه يوم الثلاثاء مع بيتر، الذي كان أصلع الرأس، وصاحب روح مرحة، فقد كان لديه زوجة وطفل، أعجب جو بالصور التي شاهدها لابن بيتر الأشقر الجميل، وبعدها حدثه عن مغامراته في هاليفاكس، واطرى له

جارته ساندي السمراء، واقترح على جو أن يزوره يوم الخميس وقال: «سوف أدعو زميلتي في العمل إلى هنا بعد ذهاب صديقها، وحينها يجب عليك أن تتدبّر نفسك معها، فمن الخطأ أن تتزوج أول امرأة تلتقيها.»

قال جو: «صاحبة البيت؟ لا أظن ذلك.»

إن صاحبة البيت ستخرج مع مدرب الكرة مساء الثلاثاء، وتعرّف جو إلى رجل اسمه مانويل يوم الاربعاء، وتواعد مع أحدهم يوم الخميس. كانت جودي زميلة بيتر امرأة جميلة، شقراء، بيضاء اللون ولكنها في الوقت نفسه حازمة، فهي لم تسمح لأي رجل أن يخدعها أو يستغلها لأغراضه الخاصة، ذهب جو معها وأعجب بقيادتها، وكان يضحك طوال الطريق على النكات التي روتها، فأخذ يقارن بينها وبين كليم في شكلهما ومضمونهما، وعندما ترك جودي أمام بيتها لم يتواعدا على أن يلتقيا من جديد لأنه لا يتصورها زوجة له.

عندما عاد إلى البيت في الساعة العاشرة، كانت سيارة دوغلاس الصغيرة متوقفة إلى جانب البيت، بينما كان بابا غرفة الجلوس وغرفة النوم مغلقين. أخذ جو يحدث أصواتاً عالية وهو يصعد السلم، ثم أخذ يستمع إلى الأخبار المحلية على التلفاز بصوت عالٍ جداً.

بعد نشرة الأخبار عرض على شاشة التلفاز بعض الأحداث السياسية التي كانت تدور في الأمم الافريقية كالثورة التي شهدها في افريقيا. أجبر جو نفسه على مشاهدتها إلى أن انتهت.

ذهب دوغلاس بسيارته، بينما كان جو مستلقياً على

سريره واضعاً غطاءً على كتفيه، وشعر بأن البيت بدأ يتشقق به فتقوقع كالمرأة العجوز. تمنى جو أن تكون ساندي التي سيلتقي بها يوم السبت أقل حدة من جودي... إن مقارنة جودي بكليم مثل مقارنة الملح بالسكر لكنه لا يعتبر كليم مقياسه النهائي كزوجة له...

عندما نام جو حلم بالبرنامج نفسه الذي رآه على التلفاز ووجد نفسه وسط الأدغال، والصوت الوحيد الذي سمعه هو صوت الببغاء وإحساسه بأنه مراقب من قبل أعداء مجتمعين من كل حدب وصوب... وكان أعداؤه مرعبين يقتربون منه، من مكان لا يراهم. أصبح يشعر بثقل كبير في قدميه، وببطء شديد في مشيته، إلى أن سقط في حفرة مظلمة وأغلقت فوق رأسه. إن المحاولة الأولى التي قام بها لتحريك قدميه توقفت بعد أن رأى جثث رفاقه مطروحة أمامه على الأرض، فظن بأنه سيموت أيضاً. وكانت ذروة الحلم في تلك الحفرة المظلمة، حيث أخذ يصرخ بأعلى صوته طالباً النجدة من أحدهم بينما صوته يختفي في الظلام وكأنه لم يكن...

في ذلك الحين شعر جو بأن أحداً يهزه ويقول: «استيقظ، جو! جو، استيقظ»

شدّ جو ذراعه وأخذ يضرب بيده... وانهارت أعصابه ظناً منه أن أحد الجنود جاء ليعتقله، إلى أن أدرك أن اليد التي تهزه هي يد امرأة.

«توقف يا جو، أنا كليم!»

وبينما كان يستفيق من ذاك الكابوس، أمسك جو برأسه ظناً منه أنه قادر على تحرير نفسه وقال: «كليم؟ هذا أنت؟»

كان الضوء الوحيد في البيت ذاك الوميض الآتي من الشارع بلونه الأصفر الكهرماني، ورأى جو امرأة قد اقتربت منه وأمسكته بذراعيه وقالت: «آه، جو، هل أنت بخير؟ لقد أخفتني...»

«يا إلَهي... كليم، أنا حقاً متأسف...»

«لا بأس، ما دمت قد استيقظت من الكابوس.»

بينما كان الضوء ينعكس عليه، نظر إلى كليم ورأى عينيها البراقتين الكبيرتين السوداوين وكأنهما الحفرة التي سقط بها. كانت صور الحلم ما تزال تلوح أمام عينيه، وكان الخوف ثقيلاً في صدره. من أجل ذلك كان جو بحاجة إلى الراحة بجانب أي إنسان، مما جعله يدفع بنفسه نحو كليم ويدفن وجهه في شعرها. إن والدة جو لم تكن الأم المثالية أو الحنون، فهي لم تعطه ما يستحقه من الحنان والعاطفة.

بعد أن عاد جو إلى وعيه الكامل، علم أن المرأة بين ذراعيه هي كليم التي كانت ترتعش بقوة، مما جعله يضمها بشدة وقال لها: «كليم، أنا آسف.»

أصبح جو واعياً للمشاعر التي انتابته بعد أن شعر برعشة في معدته، ويشعر بحرارة كفها على ظهره، لقد كان جو متعوداً مذ كان في المنطقة الاستوائية على أن ينام عارياً، وبينما كانت كليم بجانبه، كانت رائحة شعرها الجميل تفوح. رفع رأسه لينظر إلى عينيها وقال: «لقد أزعجتك... ولكن لم أقصد ذلك.»

ابتسمت كليم وقالت: «لقد جعلتني أرتعش، لقد أتيت إلى هنا لسماعي صراخك العالي، حينها ظننت بأنك قُتلت.»

قال جو بطريقة هادئة: «كان ذلك كابوساً.»

قالت كليم وهي تبتسم ابتسامة عريضة مبتعدة عنه: «مثل كامل في جملة وافرة، أنت فعلاً أخفتني.»

تناثر شعر كليم المجعد على وجهها، وهي ترتدي ثوباً طويلاً أزرق، مربوطاً على الخصر، وكان مفتوحاً على صدرها عارضاً نعومته، فأغمض عينيه محاولاً أن يعيدها إلى أحضانه، وقالت: «أخبرني عن ذاك الحلم... ماذا رأيت؟ لماذا كنت تصرخ بأعلى صوتك؟»

اعتدلت كليم في جلستها وغطت قدميها بثوبها الطويل. إن جزءاً منه يرفض إخبارها، خوفاً من أن تبتعد عنه، بينما الجزء الآخر، لا يريد أي كلام معها، سوى أن يضمها إليه ويعانقها ويبقى معانقاً اياها إلى أن يكتشف سر هذا الجسد النحيل والشديد الحساسية.

أصبح جو أكثر صراحة في أفكاره، فإن إغراء كليم له حتى لو كان مجرد خيال، ليس جزءاً من تخطيطه للإستقرار. حتى لو كانت هي تريده، وهذا ما يشك به. تمدد جو على سريره ووضع الوسادة تحت رأسه، والغطاء على صدره، ولم يكن الوقت ملائماً ليفكر، لأنه إذا فعل ربما سوف يصمت عن الكلام، وقال: «عندما كنت في البهو، أخبرتك فقط بجزء من قصتي... كنت أقطن في ضواحي العاصمة، وكنت أقضي وقتاً طويلاً في الحانة حيث تعرفت إلى شاب اسمه هانز وفتاة اسمها كارولين، فأصبحا في ما بعد من أعز أصدقائي، فهما كانا طبيبين ويشاركان في بناء المستشفى التبشيري... كانت كارولين بارعة في لعب البوكر، بينما كان هانز بارعاً في العزف على المزمار.»

«هل هما أميركيان؟»

«كارولين أوسترالية، أما هانز فهولندي... وفي يوم تركتهما وغادرت إلى لندن لاجتماع لي هناك، وعندما عدت كانت هناك شائعات تتكلم عن مشكلات في القرية التي كنا فيها وخاصة قرب المستشفى، فما كان مني إلا أن توجهت إلى هناك بسيارة الجيب التي استعرتها من أحد الأشخاص.»

اشتدت نبرة صوت جو وتابع: «وجدت أن القرية أحرقت، والمستشفى دمر، ولم يعلم أحد ما الذي حصل لكارولين وهانز، ولكني وجدتهما في اليوم التالي... لقد كانا مقتولين بالرصاص، وبينما كنت أضع جثتيهما في سيارة الجيب هجم الثوار واعتقلوني، ظننت بأنهم سيقتلونني أيضاً لكنهم اكتفوا بزجي في السجن لمدة خمسة شهور.»

«خمسة شهور، ألم يأتِ أحد لزيارتك؟»

«لقد عاملوني كأسير، وأرادوا مقايضتي مع باقي الأسرى... فكانت قصتي على طاولة الاتفاق... وهذا ما علمته مؤخراً، ولكنه من حسن حظي، لأني اعتقدت بأنهم قد نسوني وأنا في زنزانتي.»

قالت كليم بصوتٍ عالٍ: «إن ذاك شيء مروع، فليس لي أن أندهش إذا علمت بأنك تحلم بالكوابيس.»

إن الظلام الذي كان في الغرفة، جعله يدخل في تفاصيل القصة، الإعدام الذي نفذه الجنود بسبب الضجر، وكاد أن يكون هو الضحية... حتى أنهم نسوه فلم يقدموا له الطعام مما جعله يمرض ويبأس من الوحدة والضجر، حينها نظر إلى كليم وقال لها: «هذه هي المرة الأولى التي أتكلم فيها عن هذا الموضوع. وحضر شخص ذو شأن رفيع من شارع هارلي لزيارتي في المستشفى، ولكن كل شيء كان قد

أصبح جديداً وبطريقة ما، أرسلته لحزم الحقائب التي ارسلتها للتعبئة.»

قالت كليم: «أستطيع أن أتصور المشهد.»

«لم تكن لغتي مهذبة.»

بقيت كليم تنظر إليه وقالت: «لا شك بأنها كعقدة أوديب لا حل لها.»

تذكر جو فجأة البيت القديم، وما حولهما والمرأة الجالسة أمامه التي يعرف عنها بأنها شابة ولكنها غير لبقة، وهي تجلس الآن على سريره في منتصف الليل. امرأة جميلة، صاحبة أجمل صدر وأجمل شعر عطر، جفّ فم جو وتساءل عما يمكن أن يجري لو يستطيع أن يجذبها اليه...

قالت كليم بعد أن جلست وربطت الحزام جيداً: «حسناً، لقد تأخرت ويجب علي أن أذهب إلى سريري.»

قال جو: «أنا سأبقى يقظاً.»

نظرت كليم إليه مع ابتسامة لطيفة وقالت: «في الحقيقة، أنا أيضاً أشعر وكأني لا أستطيع النوم، ما رأيك لو نتناول مشروب الشوكولا الساخن مع بعض البسكويت في المطبخ؟ هيا بنا.» مدت له يدها.

تركها جو تسحبه قليلاً ثم قال: «إنني لا أرتدي شيئاً، كليم.»

تركت كليم يده وكأنه يحرقها وبسرعة غريبة وقفت إلى جانب السرير، وقالت وهي تسير إلى الباب: «سأذهب وأضع الحليب على النار.»

وقف جو أيضاً وتناول بنطاله عن الكرسي وارتداه، مع

قميص طويل تركه فوق البنطال، وأخذ يفكر بكليم، بأنها الآن تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها، وهي لا تهتم بالرجال، وتتصرف بخجل كأية عذراء. كلما عرف عنها المزيد، زادته غموضاً في فهم شخصيتها وبعد ذلك نزل وراءها إلى الطابق السفلي.

كان الضوء مسلطاً على الطاولة، وكانت هناك علبة بسكويت كبيرة، فتحها وقضم قطعة منها، وقال: «م م! رقاقة الشوكولا... إنه النوع المفضل لدي. كليم، ردّي عليّ، كيف تستطيعين أن تبقي دون زواج من أصدقائك... إن بسكويتك وحده يستحق رحلة للتغيير.»

كانت كليم تقف قرب الفرن وهي تذيب المشروب، وتنظر إليه مبتسمة: «هذا سهل جداً، مجرد أن أقول لا.»

«إذن، أخبريني عنهم، ولكن لا تذكري لي اسم ذاك المحامي، لأني لا أحبه ولا أطيق التكلم عنه.»

رفعت كليم نفسها لتتناول الأكواب من الخزانة، أخذ جو قطعة شوكولا ثانية وهو يستمع إليها: «التقيت جيمي مدرب الكرة السنة الماضية، عندما كان ابنه الصغير في مركز الرعاية، فهو أرمل، وليس في عجلة من أمره للزواج مرة ثانية. لذلك أشعر بالأمان معه، هل فهمت؟ مانويل... رجل لا يفكر إطلاقاً بالاستقرار والزواج. أما دوغلاس... طالب طب في السنة الرابعة، فإنه فقير ولا يملك ثمن قوته، يريد أن يُصبح جراحاً وهذا ما يجعله لا يفكر بالزواج في الوقت الحاضر.» سكبت كليم الشراب في الكوبين وأضافت إليهما حفنة من الحلوى الخاصة وقالت: «وبهذا أظن بأنك اطمأننت لثلاثة منهم.»

«براد؟»

«براد لم يكن واحداً من أصحابي المقربين. لقد التقيت به في احدى الحانات، فلقد كان لديه تذاكر لإحدى الحفلات الموسيقية كنت أحب أن أذهب إليها... فإن ذوقي في سماع الموسيقى ليس رفيعاً... فمثلاً أنا لا أسمع هانديل... ولهذا خرجنا مع بعضنا... وبعدها عرض علي أن أذهب معه إلى المخدع ولكنه حين علم برفضي، أصيب بالغثيان، لأني كما اعتقدت لم يصادف في يوم امرأة رفضت طلبه، فهو شاب جميل، وسيم يريد أن يسترعي انتباه النساء لأغراضه الفاسدة. لهذا لم أتواعد معه ثانية.»

«هل أنت ترفضين دائماً ذلك بلباقة، كليم؟»

«وأحياناً لا أكون لبقة بتاتاً.»

«وفي بعض الأحيان لا تعرفين معنى اللباقة.»

كانت تطوف على وجه فنجان كليم إحدى البثور. كان لون وجنتيها متورداً أكثر مما قد يحدثه الشراب الساخن. نظرت كليم إلى جو فرأته يحدق بها، سألته: «هل تعتقد حقاً أن ذلك من شأنك؟»

«أنت حتماً خرجت من غرفتي بسرعة؟»

«لأنك كنت تفكر بطريقة سخيفة.»

قال جو متسائلاً إذا كان هذا التعبير صحيحاً: «إنه اضطراب نفسي مؤقت، إني متأسف، ما بالك لِمَ لا تردين علي الجواب؟»

«لست عازمة على ذلك.»

إن جو كان معجباً بعنادها، وكان يخبىء ذلك في قرارة نفسه: «إذن أخبريني عن باقي أصدقائك.»

«إن ستيورت هاوِ للرياضة، فقد كان يأخذني إلى مشاهدة ألعاب الهوكي في الشتاء، وألعاب البايسبول في الصيف. وبول واعدني حين شعر بالكآبة عندما تركته المرأة التي أحبها ولكنها لا تريد الزواج منه، هؤلاء هم جميعاً.»

«إن ابن خالي بيتر يعتقد دائماً، أنه ليس من الرداءة لأية مدينة أن يكون فيها القليل من الرجال المتيسرين.»

قالت كليم: «إنه سحر الأنثى الخاص بي.»

«إنها رقائق الشوكولا اللذيذة.»

عندما لامست كوبها شفتيها، بقيت عيناها مسمرتين على جو وقالت: «إذا كان هناك نقص في عدد الرجال، فلن تجد أية مشكلة بأن تجد امرأة.»

قال جو ووضع كوبه في المغسلة وسألها: «لماذا أشعر حين تكلمينني وكأنك لا تجرحين شعوري، لا بأس إن عملية الغزو ستبدأ غداً.»

أثار جو الغضب في عيني كليم وقالت: «تبدو بارد الدماء عندما تتكلم عن أمور عاطفية.»

كان جو نفسه غاضباً لكنه لم يستطع أن يحدد السبب، وقال: «كليم، أنت تخرجين مع رجال مختلفين لأنك تبحثين عن الأمان، وأنا أيضاً أخطط للخروج مع نساء مختلفات لأني أريد أن أختار واحدة منهن وأتزوجها فليس من أحد في عائلتي تزوج أربع مرات، كما فعلت آرابيللا... لكني لا أحب الطلاق أبداً وهذا ما لا أريد فعله... لذا أريد أن أختار عن كامل وعي وإدراك كي لا أعيد غلطة غيري.»

قالت كليم: «أنا آسفة، كان يجب علي أن لا أقول ذلك.»

كانت كليم تبدو وديعة، مما جعل غضبه يتلاشى بسرعة: «لا بأس إذا فقدت هدوئي معك، كليم.»

قامت كليم وغسلت فنجانها، وهو يقف بينها وبين الباب فقالت برقة: «حسناً، عمت مساءً!»

عندما مرت بجانبه، أمسك جو بيدها وقربها منه، وانساق بدافع كان يكنه منذ عدة أيام، فضمها وقبلها، وقال: «كليم، شكراً لأنك أيقظتني، وشكراً على استماعك لقصتي.»

شعر جو بدهشة، وهو يعانق كليم لأنها لم ترفض ذلك، كان نفسُها ذا رائحة طيبة وجلدها ناعماً كالحرير، رفع جو إحدى يديه إلى وجهها، وأزاح شعرها عن خديها إلى الوراء، حاول أن يحافظ على هدوئه لأن توتراً ظهر في جسدها، وشعر أن قلبه كان يُسرع في ضرباته، وعرف أن هناك متطلبات كان يجب عليه أن يقوم بها.

عندئذٍ سحبت كليم يدها، ووضعتها على صدره قائلة: «لا تفعل يا جو!»

قال وهو يلهث: «لِمَ لا فنحن لسنا طفلين يا كليم.»

قالت بتمرد: «لأنك سوف تُفسد كل شيء.» كانت كليم تظهر متوردة الخدين، أما عيناها فتبدوان متمردتين... فهو كان يريد أن ينشيء علاقة معها...

في الحقيقة، لم تكن هذه هي خطته في البداية، فهو يريدها زوجة، وشريكة حياته، وأماً لأولاده.

وكأنها قد قرأت أفكاره فقالت: «إنك تبحث عن زوجة، هذا ما قلته. ولكني لا أريد أن أصبح زوجة لأي شخص. لذا نحن حتماً لن نتشارك في علاقات حسية لمجرد أننا نسكن

تحت سقف واحد.» ثم تابعت قائلة: «منذ متى كانت آخر علاقة لك مع النساء، جو؟»

أجابها: «منذ وقت بعيد.»

أراد ضمها من جديد إلى صدره ليعانقها، ولكنه في الوقت نفسه... شعر بكرهٍ شديد إلى نفسه... وإليها... لأنه في الواقع يريد فعل ذلك.

كانت كليم تنتظر، إذا كان هناك دافع يحررها من طلبه، وقالت: «إذن أنت لا تبحث عني يا جو، فطلبك ليس موجوداً عندي.»

لم يكن جو في وضع يسمح له بإغضاب كليم، فقال: «لا تكوني ساذجة!»

أجابته: «إنك تفسد كل شيء. كيف لنا أن نشرب هذا الشراب عند الثالثة صباحاً، وتلومني؟»

«لا تكوني فظة... فأنا لم أفعل شيئاً سوى أني عانقتك لشعوري بالإمتنان لك.»

«ها ها، إنها تبدأ بالعناق، وتنتهي بال...»

«أنت كنت تريدين ذلك أيضاً، كليم...»

قالت كليم وهي تخرج من الغرفة: «إنني ذاهبة إلى سريري.»

وضع جو الغطاء على علبة البسكويت، أطفأ النور وصعد إلى الطابق العلوي. استلقى على سريره الكبير، وعندما نام أخذ يحلم بكليم وبالعلاقة الحسية التي كان يتمناها معها، وعندما استفاق، أخذ قراراً على نفسه بعدم معانقتها من جديد. وتنفيذاً لجزءٍ من هذا القرار ذهب نهار السبت إلى المدينة ليشتري ثياباً جديدة وأحذية. وبعد ذلك، حان له أن

يقوم بأعماله وتمارينه الرياضية التي يجب أن تسمو على طاقته الحسية وتجعله بعيداً عن كليم، أو أية امرأة أخرى، فهذا ما كان يتمنى القيام به.

في ذلك النهار، ركض حوالى الميلين، وأحبط عزيمته الإرهاق الذي شعر به لدى وصوله إلى البيت. اغتسل، تمدد على سريره مدة خمس دقائق ليستفيق عند الثامنة والنصف موعد الحفلة عند بيتر. لكنه لم يكن في عجلة من أمره، فقد حضّر العشاء وتناوله وغسّل الصحون، بدأ بارتداء الثياب الجديدة التي كانت ألوانها مزيجاً من اللونين الأزرق والأخضر اللذين يشبهان لون عينيه.

وبينما كان يضع معطفه عليه، سمع الباب الخارجي يُغلق بقوة، نظر إلى نفسه في المرآة، وقال لا بد أن كليم قد خرجت مع أحد أصحابها... مع من ستكون خرجت يا تُرى الليلة؟ وبعد ذلك سرح شعره، وتمنى أن يظهر بمظهر أحسن مما كان عليه من عشرة أيام سابقة، أخذ مفاتيح سيارته ونزل السلم، معتقداً أنه من الممتع أن يذهب ويرى ساندي، وبذلك يستطيع نسيان كليم وأصدقاءها الرجال وعينيها الرماديتين...

الفصل الرابع

إن بيتر وميندي يقطنان في بيت جديد من ثلاثة طوابق بالقرب من إحدى الجامعات في المدينة. ولقد ظهر أن الحفلة قد انتعشت في الوقت الذي أتى به جو. استقبله بيتر عند الباب وقال: «كنت أعتقد بأنك لن تأتي... اذهب إلى تلك الغرفة وانزع معطفك لتضعه في الخزانة، وبعدها تعال إلى هنا لأعرفك على زوجتي ميندي بعد أن أكون قد أحضرت لك مشروباً. ساندي لم تأتِ بعد، لأنها أخبرتني بأنها سوف تتأخر قليلاً.»

صعد جو طابقين فوجد ثلاث غرف نوم في الطابق الثالث، ولكن واحدة منها كانت مضاءة، نزع عنه المعطف ودخل.

كانت كليم تقف أمام المرآة، وتضع أحمر الشفاه.

رآها جو قبل أن تراه، فكانت مفاجأة جميلة له مما جعله يشعر بالسرور. وضع معطفه على السرير وقال: «مرحباً كليم.»

ارتجفت اليد التي كانت تحمل بها أحمر الشفاه، مما جعلها تلطخ فمها، تجاهلت ذلك وقالت: «ماذا تفعل هنا؟»

«إن بيتر هو ابن خالي، وأنا أردت أن أسألك السؤال نفسه؟»

«إن جيمي هو أخو ميندي.»

حدق جو بصورتها في المرآة، كانت تبدو فاتنة، وكان

شعرها متدلياً على وجهها من الأمام ومربوطاً كذيل الفرس من الوراء مما ذكره بالليلة التي جلست بقربه على السرير نفسه مستمعة إلى قصته... كانت زينتها هادئة، وملابسها أنيقة ومثيرة في آن واحد بحيث تظهر محاسنها. أما القرطان اللذان كانا في أذنيها، فكانا على شكل ببغاءين كبيرين يتدليان على جلد رقبتها الناعم.

قال جو: «إني أشبهك بالأسد الذي يطوف في الغابة الاستوائية تحت شجرة الزنبق.»

كانت صورته تنعكس بالقرب من صورتها في المرآة، فاللون الأزرق في عينيه كان متناسباً مع اللون الأزرق على فستانها. كان يريد أن يطري جمالها، ولكن صراعها لهذا كان يبدو في عينيها اللتين تحدقان إليه دون أن ترمشهما، بينما كان صدرها يرتفع ويهبط، وعضت على شفتها فتلطخت أسنانها بأحمر الشفاه.

كان أحدهم يتجه نحو الغرفة، نظرت كليم نحو الشخص الآتي، وقالت: «مرحباً... أنت ساندي، أليس كذلك؟»

أجفل جو... أجفل مرة ثانية عندما رأى أن كليم لاحظت ردة فعله. وكانت هناك محادثة سريعة ظهرت على وجهها، وقالت: «جو، هذه المرة الأولى التي ترى فيها ساندي، كما أظن، أليس كذلك؟ ساندي ليندكويست... لقد لفظتها جيداً، أليس كذلك، ساندي؟ لقد التقينا مرة أو اثنتين في حوض السباحة، هل تذكرين؟ ساندي، هذا هو جو ماكنيل.»

ارتجت أهداب ساندي عندما ذكرت كليم اسمه، ومن دون شك فقد لاحظت كليم ذلك أيضاً، وبثقة كاملة جعلته يتقدم

ويصافحها، أخذت كليم محرمة عند الطاولة وأخذت تحسن زينتها.

ربما لم تكن والدة جو امرأة قوية، لكنها غرست فيه المثال الحسن في التصرفات اللبقة. صافح جو ساندي وقال: «تشرفت بمعرفتك يا ساندي، بيتر أخبرني عنك... الآن دعيني أساعدك وآخذ عنك معطفك.»

وبعد أن أخذ المعطف الصوفي الأصفر الجميل عن كتفيها، وضعه على السرير وقال وهو ينظر إلى كليم في المرآة: «هل نستطيع النزول وإيجاد البار؟»

قالت كليم: «انزلا. وسألحق بكما بعد دقيقة.»

نزل جو، خلف ساندي ولم يستطع أن يلتفت ثانية إلى كليم، فأخذ يدرس مظهر ساندي. كانت ترتدي كنزة من وبر الأرنب الأصفر الشاحب، وسروالاً بنياً داكناً، فهي نحيلة وأقصر من كليم، وكان شعرها الأسود يلمع تحت الأنوار. وحين توقفت في المدخل الكبير تنتظره، كانت عيناها السوداوان تبرقان وقالت: «هل تعرف كليم؟»

«إني مستأجر الطابق العلوي من بيتها منذ أسبوعين.»

«إنها امرأة بارعة... لقد قامت بالكثير من أجل مركز الرعاية بالمدينة، أظن أنك تعرف ذلك.»

«لا... لقد نشأت في هاليفاكس، ولكني غادرتها بعد عدة سنوات، ولذلك لم أكن مطلعاً على الوضع السياسي.»

«لقد حاولت بجهد ولسنوات عديدة من أجل المطالبة بإنشاء عدة مراكز للرعاية، وخاصة للأهالي ذوي الدخل المنخفض، ولزيادة رواتب عمال المركز... لأن مداخيلهم كانت منخفضة للغاية. وعلى رأس كل ذلك، طبعاً فهي تحب

الأطفال، لأنها تعطيهم الكثير من العاطفة والحنان من بين جميع موظفي المركز.» حكت ساندي أنفها وقالت: «اسألني فقط. إنني معلمة... أن تنضم كليم إلى اتجاهات سياسية عاصفة مع الاهتمام بالأطفال هو شيء مُذهل وغير معقول... الشكر للسماء من أجل وجود كليم وأمثالها في هذا العالم.»

احتفظ جو بهذه المعلومات، متجاهلاً هذا الموضوع لأنه لا يريد أن يتكلم عن كليم وقال: «أين تعلّمين، ساندي؟»

لقد كانت ساندي ذكية لدرجة أنها عرفت تغييره للموضوع، فتابعت الحديث معه وقالت: «بارك ستريت هاي.»

قال جو: «عندما ترعرعت هناك... كانت تلك المدرسة الأكثر صرامة.»

أجابته: «وما زالت. أنا أعلم الصف العاشر اللغة الفرنسية، إنني أعمل من ثلاث سنوات بمعاش مؤجل، وأحصل في السنة الرابعة على إجازة لأسافر بها... وبهذه الطريقة أحافظ على سلامتي وصحتي.»

وبينما كانا يسيران نحو البار وهما يتكلمان، عرف أنهما كانا في تركيا في الوقت نفسه منذ سنتين. إن ساندي كانت محدثة جيدة وعندما التقيا مع أصدقائها وراحوا يرقصون في غرفة الرقص، أعجب جو بساندي وأراد أن يمضي وقتاً أطول معها، ولكنه في الوقت نفسه كان يراقب تحركات كليم.

كانت كليم تنظر إليه وهي مسرورة بصحبة جيمي، الذي لا يريد زوجة أحسن من تلك المرأة التي تحب طفله الصغير،

والتي لا تضعه تحت أي ضغوط ليصحو من حبه لزوجته الأولى.

وكان كلما تحمس الراقصون في حلبة الرقص، كان جيمي يحيط بكليم وهي ترقص وتضحك بين ذراعيه، لقد كان التحرر من الارتباط هو القاسم المشترك بينهما، فكر جو بألم: إن التحرر من المشاركة الحسية هي التي جعلتهما مرتاحين بصحبة بعضهما بعضاً.

قالت ساندي بلطف: «إنك لا تبدو سعيداً.»

أعاد جو نظره إلى ساندي وقال: «إني متأسف.»

«إنك معجب جداً بكليم، أليس كذلك؟».

كان جو وساندي يرقصان في زاوية الغرفة، منعزلين عن الجميع، حينها قال جو: «لا! طبعاً لا.»

«إنها امرأة جميلة.»

ظهرت علامات التعاسة على وجه ساندي... وبّخ جو نفسه لما سببه من ألم لساندي، وقال: «ساندي، أنا...»

وضعت ساندي يدها على معصمه وقالت: «جو، إن بيتر هو الذي دبّر لنا هذه المقابلة، كلانا يعلم ذلك، أرجوك، لا تسيء فهمي... لقد أعجبت بك كثيراً. لكن المشكلة تكمن في حبي لجيمي... نعم هذا الحب عمره عدة شهور.»

دهش جو لأنه لم يفكر بمثل هذا الموضوع، وبإعجاب تام لإخلاصها وشجاعتها وضع ذراعيه حولها وابتسم ابتسامة دافئة وقال: «لقد أعجبت بك أيضاً، لِمَ لا نخرج من هنا إلى أي مكان أكثر هدوءاً لنتكلم؟ هناك حانة جميلة جداً بالقرب من الميناء.»

ابتسمت ساندي وقالت: «ليس لدي أي مانع، هيا بنا.»

كانت ساندي شابة محببة وجميلة، لكنه لم يتأثر بذلك. ثم، شعر جو فجأة بألم حاد في رقبته، نظر حوله. كانت كليم تراه، وكان جسدها يتراقص في ثيابها الجميلة وعندما رأته ينظر إليها، رفعت رأسها فخراً كالأسد، أحاطت جيمي بذراعيها، وأخذت ترقص وهي تلاصقه. نظر جو إلى ساندي وقال: «يا للجحيم.»

أجابت ساندي وكانت عيناها السوداوان تشعان ألماً: «وأخيراً.»

«دعينا نجد بيتر وميندي، لنستأذن منهما قبل أن نخرج من هنا.»

«إن بيتر سيظن بنا سوءاً، فور خروجنا من هنا، هل تعرف ذلك؟»

«أحضري معطفينا وسأبحث أنا عن بيتر.»

نظرت ساندي إليه وقالت: «لا داعي لنظراتك العدائية هذه، سأحضر بعد دقيقة.»

كان جو بعد نصف ساعة يجلس مع ساندي على مقاعد مخملية في احدى الحانات، رفع جو الكأس الذي بيده، وقال: «ستأتي الأيام الجميلة يا ساندي، أخبريني كيف التقيت بجيمي؟»

«لقد التقينا بعد ثلاثة أشهر من وفاة زوجته في الاستهلاكية... اصطدمنا، مما جعل مقداراً من علب الحبوب تقع على الأرض. وعندما حاولنا التقاطها، لمسني بطريق الصدفة وحصل ما حصل... وكما يقول الشعراء... الحب من النظرة الأولى، تعارفنا وخرجنا ليومين متتاليين، وبعدها انتهينا في إقامة علاقة. كان ذلك في اليوم الثالث، حين قرر

جيمي أن نفترق، ظناً منه أن الوقت غير مناسب وأنه لا يريد التورط بأية علاقة. وباختصار وبعد أيام التقيت به خارجاً مع كليم، وما زالا يخرجان مع بعضهما بعضاً حتى الآن...»

أخذت ساندي حبات البندق من الطبق الذي أمامها، وقالت: «هذه نهاية قصتي، والآن دورك لتخبرني عن قصتك.»

شرح جو قصته من بدايتها بين أهله وأهل كليم إلى أن أتى ليستأجر الشقة في بيتها وقال: «لم نخرج مع بعضنا... وكيف لنا ذلك وهي مشغولة بعملها في التواعد مع نصف سكان هاليفاكس؟ فأنا لم اعانقها إلا مرة واحدة، دفعتني بعدها إلى الحائط.»

قالت ساندي بأسى: «ستبقى تتواعد مع جيمي إلى أن يصبح عمره خمسين عاماً.»

«منذ متى توفيت زوجته؟»

«منذ سنة وشهرين.»

«لماذا لم تتصلي به وتقترحي أن تذهبي في نزهة معه، أو أي شيء عادي، من دون أن تضعي أي ضغوط عليه؟»

كانت أصابعها ترتعش وهي تمسك كأسها: «لسببين. أولهما قد يقول لا. والثاني إذا قال نعم وبعدها اكتشف بأن العالم لم يتغير بالنسبة له... وأبقى مجرد ذكرى مربكة، شخص قد ينساه بسهولة. لم يحاول أن يجد فرصة ليتحدث إليّ الليلة، مثلاً. لأكون عادلة، أنا لا أعتقد أن كليم لديها أية فكرة عما دار بيني وبين جيمي، وهو لا يريد أن يخبرها.»

أراد جو أن يصدق ذلك، لأنه لا يريد أن يظن ولو للحظة أن

كليم تستطيع الخداع والغش. قال محاولاً أن يبعد اليأس والحزن عن وجه ساندي، فهي راقصة لطيفة، مبدعة... «اشربي لنخرج ونبحث عن صالة للرقص، وفي الأسبوع المقبل إذا لم يكن لديك أي موعد سنذهب لتناول العشاء وبعدها إلى السينما.»

«عادة، أنا أذهب إلى البيت في نهاية الأسبوع، فأهلي يقيمون في آنابوليس ڤالي، ولكن لدي تذكرتين في مرقص للباليه نهار الخميس... فهم سوف يؤدونه أيام الخميس، والجمعة والسبت، هل تحب أن نذهب معاً؟»

«أحب ذلك، ولكن سآخذك للعشاء أولاً، جهّزي نفسك، جيداً... لأننا سنذهب إلى مكان خيالي.»

قالت ساندي: «أنت رجل لطيف، جو ماكنيل، دعنا نذهب للرقص!»

بقي جو يرقص مع ساندي إلى الثانية صباحاً، وبعدها أوصلها إلى البيت. وبينما كان ينعطف إلى الطريق المؤدي لبيت كليم، رأى سيارة صغيرة زرقاء وجيمي بداخلها، فعرف أن كليم وصلت إلى البيت.

منذ متى تكون قد وصلت إلى البيت؟ هل تكون قد دعت جيمي إلى البيت؟

سار جو في الممر، وصعد السلم درجتين درجتين، وجد الباب مفتوحاً بينما تقف كليم في الرواق وهي تخلع جزمتها.

ابتسم جو لها وقال: «هل أمضيت وقتاً ممتعاً الليلة؟»

قالت كليم بصوت ناعم: «شكراً لك، نعم، تصبح على خير.» نزعت كليم الوشاح عن رقبتها، وبينما كانت تضعه

على الكرسي وقع على الأرض، انحنت لالتقاطه وكان جو يحاول ذلك أيضاً، مما جعل يديهما تتلامسان.

في ذلك الوقت، سمع جو كلام ساندي حين قالت: «نحن نتلامس والأرض تجري... وكما يقول الشاعر سيحصل.» عندما انتشلت كليم الوشاح، أمسكها من معصمها ورماه أرضاً، شعر بنبضاتها تخفق بسرعة، مما جعل المودة الحميمة تجري في دمه، وأنفاسه تلهث بقوة شديدة، وبدأت نبضات قلبه تسرع أكثر فأكثر.

تذكر جو تلك القصة التي حصلت في الصحراء، حين أمسك بحمامة كان الصقر قد جرحها. أما دقات قلب تلك الحمامة فكانت تخفق بسرعة، مما جعل الخوف يظهر في عينيها. وبردة فعل قوية لأجل المحافظة على حياتها، شنت هجوماً على ذلك الصقر وهزمته.

كانت كليم خائفة، وقد رأى ذلك في نظراتها، فهي غاضبة وأعصابها متوترة كثيراً، وقالت: «جو، دعني أخرج.»

كان رده لها حين أمسكها من يدها وشدها نحوه، تغير لون وجهها حين نظرت إليه، فاقترب منها وبدأ بعناقها.

أحاطها بذراعيه، وتمادى في عناقها، متيقظاً لسخائها في العطاء الذي كانت تعطيه إياه. همس جو باسمها، وهو يتفوه بمطالبه، محاولاً أن يسوّق نفسه إليها، ليعطيها أكثر مما يأخذ منها، وشعر أن يديها تلامسان رقبته، فعانقها مسروراً لتجاوبها.

«إن رائحة شعرك تذكرني برائحة الصنوبر... هل تعلمين بأني أريدك أكثر من أي وقت آخر؟»

كانت هذه حقيقة ودليلاً صادقاً على ما يقوله، فهو لم يكن يعلم صلابة جسد كليم من قبل، ولا قوتها التي جعلتها تتحرر من أحضانه، كانت كليم تبدو مذعورة، وكأنها فقدت تحملها، وكان صوتها يرتج حين قالت: «لماذا تفعل هذا؟ إنني سأجن.»

كانت عيناها متوحشتين، ووجهها مليئاً بالخوف، تذكر جو قصة الحمامة وقال: «ليس هناك من شيء مخيف، يا كليم.» وعرف أنه يتكلم مع نفسه كأنما يتكلم معها، فمنذ دقيقة واحدة كان يقول الحقيقة. فهي بعناق واحد استطاعت أن تحتل جزءاً منه لم يشعر به من قبل. لقد كانت له علاقات في عشر سنوات، ولكن لم يجد أية امرأة تدخل أعماقه، فهي تبدو وكأنها موجة في البحر.

كانت كليم تتشبث بشعرها، وقالت: «يجب أن لا يحصل هذا مرة ثانية، ليس هناك مكان لك في حياتي يا جو إنني أعني ذلك. إنني لست خجولة، ولا ألعب. أنا فقط لا أريد أن أنساق في هذا التيار. على كل حال، لقد قضيت سهرتك مع ساندي، وهذا ما جعلك تترك الحفلة مبكراً، هل ذهبت إلى شقتها، أليس هذا ما فعلته؟ وهذا ما جعلك تأتي إلى هنا وتحتضنني وكأنك تائه في غابة لمدة عشر سنوات!»

ابتسم جو ونظر إليها، قائلاً: «إنك تغارين، يا كليم.»

«لا أنا لا أغار يا جو! لكني لا أريدك أن تنتقل منها إليّ بهذه الطريقة.»

قال لأنه لا يريد أن يخون ثقة ساندي به: «لقد ذهبنا سوياً إلى الحانة عند الميناء، تكلمنا نصف ساعة ورقصنا، لقد أوصلتها إلى شقتها ورجعت إلى بيتي.»

«أوه، بيتك؟ إنك مجرد مستأجر عندي، هذا وضعك هنا... لا تدعوه بيتك.»

تنفس جو تنفساً عميقاً، وقال: «كليم، سأقيم هنا ثلاثة أشهر على الأقل، وسوف أدعو البيت ما يحلو لي. إننا دائماً نتشاجر مع بعضنا بعضاً. أليس كذلك؟ وها نحن ذا نتشاجر حول ما يجب أن أسمي البيت.»

ابتسمت كليم ابتسامة فاترة وقالت: «إنه يسمى صراع القوة، فأنت لديك طريقتك الخاصة في التفكير، وأنا لي طريقتي، وهذا ما يجعلني على خلاف معك.»

«ومن تظنين سيربح هذا الصراع؟»

«بما أني أملك البيت... فلا بد لي من الربح.»

قال جو برقة: «أنا لا أتكلم عن البيت.»

نظرت كليم إليه للحظات وقالت: «إلا إذا أخترت أن تستخدم القوة القاسية... وأشك في أن تتبع تلك الطريقة... لن يكون هناك مزيد من ذلك العناق.»

«هناك بقية البيت.»

«إن يوم رجل الكهف قد ولّى.»

«صحيح. لقد استبدل بيوم المرأة للقرن العشرين. فإنه لديك الحرية لتأخذي المبادرة الأولى في أي وقت تريدينه، يا كليم.»

صرخت كليم وقالت: «وسبب آخر لمشاجرتنا هو أنك لا تريد أن تسمع كلمة لا. إن الماء هو الغطاء للحجارة، هل هذا ما تريده من أية امرأة تراها؟»

أراد جو أن يفقدها توازنها فطبع لثمة سريعة على أنفها وقال: «لم أجد ذلك ضرورياً من قبل، حسناً، إن هذه هي أهم

نصف ساعة بالنسبة إليّ، ولكني بحاجة إلى جمال ولذة النوم، عمت مساء كليمينتينا.»

صعد جو السلم إلى الطابق العلوي، وبتأثير قوي في إرادته، حاول أن لا ينظر وراءه.

بقي جو بعيداً عن كليم يوم الأحد، غارقاً في أفكاره، في الأسابيع الطويلة التي قضاها في السجن، كان دائماً يفكر بأن يستقر في مكان واحد، يتزوج، وينجب الأطفال، وليفعل هذا يجب عليه أن يجد الزوجة أولاً. كانت لديه صورة وهمية لامرأة سمراء، امرأة لا تختلف عن ساندي نكية، مرحة ليبقى معها. لم تكن كليم تتلاءم مع تلك الصورة، فكليم لم تكن أبداً وهمية. إنها طويلة القامة، ممتلئة الجسم تمشي بفخر كالأسد، وعندها آراء قوية في كل المواضيع.

لم تكن كليم تريد الزواج، وبالتأكيد كانت تخاف من إقامة أية علاقات حسية، وخاصة معه.

لقد كان جو غبياً لأنه يضيع وقته في التفكير بها. إنه يبلغ الثالثة والثلاثين من عمره، وأبوه يريد أن يحصل على الأحفاد. لم يكن جو رجلاً مغروراً، ولكن بالتأكيد هناك امرأة ستوافق بسرور لأن يكون زوجاً لها. إذن لم يتعلق بتلك المرأة التي كانت تكرهه مذ كانت في العاشرة من عمرها، ولم تتغير مشاعرها نحوه بعد كل هذه السنين؟

ومزيداً على ذلك، فهو كان يخدع نفسه بتعليقه أية أهمية على عناق في الردهة في الساعة الثانية صباحاً. كل ما في الأمر أنه يعاني من الحرمان الحسي. إنه يأكل جيداً،

ويمارس الرياضة، فلماذا يفاجأ بأن نشاطه الحسي يسيطر على تفكيره؟

طبعاً، فهذا شيء طبيعي لأن كليم كانت ناضجة في الجسد، وكانا يتشاركان في البيت نفسه. ولو لم يشعر بتلك الطريقة، فهو سيكون حتماً غير طبيعي.

لكنه ليس مضطراً لاقامة علاقة معها، وهو حتماً ليس مضطراً للزواج منها.

توصل جو إلى هذه النتيجة عند الرابعة من بعد الظهر، إتصل بساندي واقترح أن يتنزه معها، وأن يأكلا البيتزا في المدينة مما جعله يدفع تفكيره بكليم جانباً. لقد ذهب مع ساندي يوم الثلاثاء إلى السوق، واشتريا كنبة، أما يوم الاربعاء فقد كان لديه موعد مع جارة بيتر المطلقة، وكان اسمها اكسانتيا، وعندما وصلت إلى الباب شعر أنها لا تعني له شيئاً كاسمها الغريب.

ذهب جو واكسانتيا إلى السينما لمشاهدة فيلم قيادة الآنسة ديزي الممتع، وعند الردهة التقيا بمجموعة من أصدقائها، فتناولوا العشاء في أحد المطاعم قرب السينما، حيث كان جميع أصحابها يدخنون، وعندما أعاد اكسانتيا إلى بيتها دعته لتناول الشراب. لقد كان جو متطفلاً لمعرفة التشابه بين بيتر وبين صديقته اكسانتيا، ولذلك قبل دعوتها.

كانت اكسانتيا تفضل الألوان الفاتحة، والرسم المجرد غير المفهوم، وحتى أن أثاث بيتها كان مميزاً بهذه الألوان. جلس جو، وجلبت له اكسانتيا شراباً من النخب الأول وأضاءت نوراً خفيفاً، بعد أن وضعت اسطوانة لموسيقى

هادئة، وجلست بجلسة كلها إغراء بقربه، وأخذت تداعب أذنيه بأظافرها الحمراء الطويلة وبعدها بشفتيها.

عانق جو اكسانتيا، ومن جراء ذلك كان يجب عليه أن يُصاب بدوار، وبدلاً من ذلك بقي متيقظاً وواعياً على الرغم من رائحتها الذكية، ورنين أساورها التي تلتف حول رقبته، وأيقن بأنه سيندم في اليوم التالي لو استسلم لسحرها. شعر بأن هناك شيئاً آخر ليس على ما يرام، ولكنه لم يفقه كنهه. فأبعد نفسه عنها وغادر متجهاً نحو البيت. كان الطابق السفلي مضاء. إنها الحادية عشرة ليلاً في منتصف الأسبوع، وعلى كليم أن تذهب إلى عملها في اليوم التالي. تراقص قلب جو بين أضلاعه. هناك خطب ما.

قطع المسافة بين السيارة والمدخل بسرعة فائقة. دفع الباب ودخل مسرعاً. «كليم؟» في تلك اللحظة فقط فكر جو مرتعباً بأنه يبدو غبياً لو أنها كانت برفقة دوغلاس أو جيمي، أو ذلك المحامي ثقيل الظل. «كليم! هل أنت بخير؟»

«إنني هنا في المطبخ.»

أسرع جو إلى المطبخ، وجدها جالسة على الأرض، وهي تمسك قطها آرمند وهو يتنفس بصعوبة: «هل من خطب؟»

رفعت وجهها لتنظر إليه فلاحظ أنها كانت تبكي وقالت: «إنه آرمند... إنه مريض. ناديته قبل أن أذهب إلى سريري ولكنه لم يجبني وحينها أتيت إلى هنا فوجدته بهذه الحالة، إنه مريض.»

«هل اتصلت بالطبيب البيطري؟»

«أجل، قبل وصولك. سوف تكون في عيادتها خلال ربع ساعة، كنت على وشك الإتصال لطلب سيارة أجرة.»

«لفيه بأي شيء يا كليم، وسآخذك أنا إلى هناك.»

لم تجب كليم بكلمة، ولكنها كانت تظن بأنها ستحتاجه بقربها في هذا الوقت. وعند وصولهما إلى العيادة أخضع آرمند لعملية جراحية وبقيت كليم تنتظره إلى أن انتهى من العملية.

بقيت كليم تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً واضعة يديها في جيبيها. أما جو فقد كان يجلس وبيده مجلة يتظاهر بقراءتها. لأن غرفة الإنتظار كانت مضاءة بمصباح مشع جداً، والكراسي لم تكن مريحة.

بما أنها لا تستطيع السكوت قالت: «أعرف أنه مجرد حيوان، وأنه ليس إنساناً ولكن بعد الذي واجهته في افريقيا... سوف تعتبرني مجنونة لأني أفعل هذا من أجل هر، ولكن...»

«أنا لم أفكر بذلك، يا كليم.»

«... لكني أحب هرّيّ، ولا أحب أن أراهما يعانيان المرض.»

كان صوتها يرتج، في حين كانت دموعها تتساقط على وجهها، لم يستطع جو أن يراها تبكي، فقد شعر بشيء من الحزن في نفسه من أجلها، وضع المجلة جانباً وقال: «تعالي إلى هنا.»

«أنا لا أبكي... حقاً لا أبكي.» حينها غيرت الموضوع وقالت له: «يوجد أحمر شفاه على أذنك. فقد لاحظت ذلك من أول لحظة دخلت بها إلى المطبخ.»

وضع جو يده على أذنه... نظر إليها، فوجد أنها تلطخت بلون الفوشيا. نظر إلى عينيها وقال: «لم يحصل شيء، لم يحصل شيء يا كليم.»

قالت وهي تفرك عينيها بيدها: «لا شأن لي بما تفعل.»

لم يكن جو متأكداً من ذلك، وقال: «كي لا تظني بأني أفعل خطأ، لقد كنت مع ساندي.»

قالت باشمئزاز: «إنك تحوم حولها، أليس كذلك؟»

أجاب مبتسماً: «أستطيع تدبر ذلك مثل بعض الناس. لن نتشاجر هنا. سأذهب لأحضر لك المحارم.»

أحضر جو المحارم وراح يراقبها فيما هي تمسح وجهها وعينيها، وعاطفته تملأ صدره، تمتمت قائلة: «لا بد أنني ابدو مخيفة.»

كان أنفها يبدو أحمر وخداها كذلك، حين سمعت جو يقول: «أنت فاتنة... بالتأكيد كنت تكرهينني منذ طفولتنا، أليس كذلك؟ فأنا من أخبرك عما كان يجري بين والدي ووالدتك... أليس هذا هو السبب؟ أو أن هناك شيئاً آخر؟»

استرعى كامل انتباهها؛ ونُسي آرمند، ولو مؤقتاً وقالت بحقيقة وبطريقة تلقائية: «قبل ذلك اليوم، الذي أخبرتني به الحقيقة، كنت أعشق مضاربك وحيثما حللت... فأنت كنت الفارس الذي أنتظره... بول ماكرتني وطرزان في آن واحد... كنت تكبرني بخمس سنوات وتخرج مع الفتيات من كل حدب وصوب... ولذلك قررت أنني حين أكبر وأتخلص من قيودي، سألفت انتباهك إلى ذلك.»

«وبدلاً من ذلك فجرت كل غضبي من والدينا عليك، وبعدها أصبحت أخاً لك بعد زواج أبي من أمك.»

«حسناً، هذا كان منذ وقت بعيد.»

«والآن كبرت، وتحررت من قيودك.»

«إذا كنت تعني أني أخيراً استرعيت انتباهك، فأنت قد تأخرت ما يقارب عشرين عاماً.»

«ليس طالما أنا معني بالأمر... حتى قبل عشرة أعوام كان الأمر باكراً جداً، لأنني كنت أجول حول العالم وأنت في الوقت نفسه كنتِ تكملين دراستك.» توقف جو برهة حتى تستوعب كلامه: «إن ما عانيته في السجن كان كافياً بالنسبة لي... فليس هناك من عقاب أكثر من السجن لعدة شهور، وإجبارك على التفكير بأشياء مخيفة ومروعة... كليم وازني حياتك، واعلمي ما هو المهم فيها. فأنا أعرف ما أريد الآن، ولا أريد أن أستقر على أقل من ذلك.»

«حسناً، لكن لا تجعلني ضمن ذلك!»

«أنا لست متأكداً من أنني فعلت. ولكن...»

فُتح الباب الداخلي، وخرجت الطبيبة البيطرية وقالت: «كليم، آرمند بخير، لقد أسعفته في الوقت المناسب، سأتركه هنا ليومين وبعدها تستطيعين أخذه إلى البيت.»

تقدمت كليم من الطبيبة وكانت الدموع تتساقط من عينيها وقالت: «شكراً... شكراً جزيلاً.»

أجابت الطبيبة: «إذا كنتما تريدان الخروج من الباب الأمامي سوف أغلق الباب خلفكما.» وأومأت بالتحية إلى جو.

أخذ جو كليم إلى البيت، علقت معطفها في الردهة، وقال: «ستشعرين بالتعب غداً.»

«لا، ليس لدي أي موعد غداً مساءً... لذا سأخلد إلى النوم باكراً، شكراً لك يا جو، إنني أقدر لك مساعدتك.»

«أهلاً بك يا كليم، نامي جيداً.»

تقدمت كليم بسرعة وقبلته قبلة سريعة كالفراشة على خده وبعدها احمر وجهها... وحاولت أن تكلمه، لكنها لم تستطع التفوه بأية كلمة من شدة خجلها، وغادرت إلى غرفتها. سرّ جو لذلك وأخذ يفكر بهذه القبلة الحلوة التي انطبعت على خده وقلبه معاً.

وأخذ يتساءل: هل أن هذه القبلة الصغيرة تعني بأنها أصبحت تفكر به كرجل؟ لم تعد تنظر إليه كأخ؟ لم تعد... آه كم يكره هذا التعبير... وكأنه أنبوب أمان.

الفصل الخامس

صباح يوم خميس من أيام أيار، كانت السماء تمطر بغزارة. غادرت كليم إلى عملها في الوقت الذي استفاق جو ولم تعد تلك القبلة التي تلقاها منها الليلة الماضية ذات معنى، راح يصغي إلى صوت المطر في الخارج وقرر الذهاب إلى احد اندية الرياضة، ليحصل على عضوية فيها. وبما أنه حتى الآن لم يستطع الحصول على قلب كليم، لذا سوف يزيد تمارينه في حمل الأثقال. إنه على موعد مع ساندي هذا المساء.

عندما أصبح جو مستعداً لاصطحاب ساندي لمشاهدة رقص الباليه، انتظر وهو يراقب إلى أن رأى كليم تمشي باتجاه البيت ونزل السلالم. وكان يلعن نفسه لو تركها تعتقد أنها الوحيدة التي تستطيع الخروج مع أصحابها، فهو يستطيع أن يقوم بذلك أيضاً.

ارتدى جو معطفه فوق بدلته الرمادية، والتقى بكليم وهي تصعد السلم، وقد بدت متعبة، قال جو: «إنني سعيد لأنني صادفتك... كيف حال آرمند؟»

«إنه يأكل ويشرب ولكن دون شهية، هذا كل ما يفعله.»

وبعدها نظرت إليه من الأعلى إلى الأسفل وقالت: «إنك تبدو أنيقاً جداً.»

«إنني ذاهب مع ساندي إلى معهد الباليه.»

«فهمت. وأنا أيضاً سأذهب مع دونكان لحضور

السنفونية الجديدة ونحن مدعوان إلى حفل استقبال أيضاً.»

لم يكن الهدوء من طبع كليم، لذا، لا بد وأنها مرهقة، هذا ما فكربه جو، وقال: «نحن سوف نجتمع نهار السبت لنناقش انطباعاتنا، كليم، ما رأيك هل اعتبره موعداً معك؟ أما الآن فعليّ الخروج... أراك لاحقاً.»

وصل جو إلى منزل ساندي وكان لا يزال منشغل التفكير بكليم، رنّ جرس البيت. فخرجت ساندي وهي مستعدة لهذه السهرة، كان وجهها مفعماً بالحيوية، ترتدي فستاناً مورداً جميلاً، ويظهر جمال وجهها، مما جعله يتوقف عن التفكير بكليم بعد أن بهرته بمظهرها الجميل. تناولا الطعام في أحد المطاعم، بالقرب من الشلال، وقد استمتعا بالعرض... بعد ذلك ذهبا من أجل تناول الشراب. حينها سألته ساندي: «إذن، الموعد الكبير مع كليم سيكون نهار السبت؟»

«لا، هل من أخبار عن جيمي؟»

حدقت ساندي به وقالت: «لا. أنا حقاً معجبة بك، يا جو، لكنني لست واقعة في حبك.»

أمسك جو بيدها، وقال: «أنا أيضاً معجب بك، ساندي، وعلى الرغم من سوء حظنا في إحياء قصة حب بيننا، إلا أننا سنشترك لوضع نهاية لهذا الارتباط.»

«إذن هل خططت لأمسية السبت؟»

«ماذا تريدينني أن أفعل، هل ألعب مع القطط؟ أم أسبح خمسين متراً في البحيرة؟ وبكلمة أخيرة، لا.»

«إنني ذاهبة نهار السبت إلى والف ڤايل. في المزرعة

الجميلة التي يسكنها أهلي، والتي تبعد ساعة من هنا، هل تريد الذهاب معي؟ فهم سوف يفرحون لمجيئك.»

لم يتردد جو في الإجابة فقال: «أتمنى ذلك يا ساندي، شكراً.» قبل أن تتكلم ساندي لم يكن قد أدرك كم أنه لا يرغب في قضاء عطلة الأسبوع وحيداً في الشقة وليس لديه أي شيء ليقوم به إلا متابعة مواعيد مالكة المنزل. «أعتقد أنني سوف أعرض على كليم اصطحابها لإحضار آرمند من العيادة، ولكن أستطيع القيام بذلك في الصباح.»

نزل جو عند الثامنة من مساء الجمعة. حفلة الباليه كانت في الثامنة ويجب أن تكون كليم قد انتهت من تجهيز نفسها لذلك، وبينما كان هو يهم بمناداتها من على السلم، خرجت كليم من غرفة النوم وهي ترتدي ثوباً أسود جميلاً، وحذاء أسود، حتى أن القرطين في أذنيها كانا أسودين، نظرت إليه وابتسمت: «هل أبدو مناسبة للحفلة؟»

نظر جو إليها باندهاش، حتى أنه لم يستطع رفع صوته للكلام، وهو يفكر بأن كل هذه الأناقة ستكون من حظ دونكان، فشعر بالغيرة عليها، والحسد من دونكان لمرافقتها.

دارت كليم حوله وهي مرتاحة لمظهرها الجميل، وقالت: «إنني حقاً متشوقة لهذه السهرة، فأنا أحب الباليه؛ هل تظن بأن دونكان سيعرف كم دفعت ثمن ثيابي لأخرج معه لهذه السهرة؟»

تنحنح جو كارهاً فكرة اضطرارها لإهدار بعض المال من أجل التأثير على رجل لا يستحقها وقال: «تبدو ثمينة.»

«عشرة دولارات من شارع سيدني، لكني أتمنى ألا يكون

صاحب المحل أحد المدعوين لهذه السهرة، هذا كل ما في الأمر.»

«هل ستخبرين دونكان كم كلفك ذاك الفستان؟»

«ليس بالضبط، مثل الملكة فيكتوريا، لن يُسر بذلك... بالمناسبة، يا جو، أتريد شيئاً؟»

نسي جو السبب الذي جاء من أجله، ثم قال: «أريد أن أخبرك بأني سأخرج آرمند غداً صباحاً من العيادة.»

«شكراً لك على كل حال، لكن جيمي سيأتي غداً صباحاً ليأخذني إلى هناك.»

كان جو منشغل البال، لأن كليم ستذهب مع دونكان لمشاهدة الباليه، ولكن الأسوأ هو أنها تمضي الوقت مع جيمي فيما ساندي تحاول جاهدة أن تقوم بذلك. كان غاضباً، ولكنه كان يعلم أنّ ذلك لم يكن ذنب كليم لأنها لا تعرف العلاقة التي كانت بين ساندي وجيمي، وهذا السبب كان يبرر لها موقفها، وقال: «لقد سيطرت على جميع أصدقائك، أليس كذلك؟ فأنت ستذهبين مع صديقك الغني صاحب سيارة المرسيدس إلى حفلة الاستقبال، وبعد ذلك سيساعدك صديقك مدرب الكرة الأرمل في جلب آرمند إلى هنا، واللّه يعلم ما الذي يفعله أيضاً، أما طالب الطب فسيساعدك طيلة أيام الأسبوع في تمرين غرائزك الأمومية. كل هذه الأشياء تجعلك غير متورطة عاطفياً بأحدٍ منهم، كذاك المعطف المعلق هناك، تهانيّ الحارة، يا كليم!»

أجابت كليم بصوت عال: «أنا لست كذلك! كيف تجرؤ على هذا القول؟ إنك تجعلني أبدو فاترة عديمة المشاعر. وكأنني أستغلهم لمصلحتي. أنا لا أفعل ذلك. إنهم

أصدقائي فقط... كلمة يبدو الأمر جلياً أنك لا تفقه معناها.»

سكت جو للحظات، ثم قال: «لا تكلميني عن الأصدقاء... أنا أكلمك عن شيء آخر، فإنك تخافين حتى الموت من الرجل الذي يريد أن يمتلك قلبك، وبمعنى آخر الذي يريد أن ينشىء علاقة حب معك، لهذا فأنت تنتقلين من شخص إلى آخر، وتهزأين منهم، ولا تجعلين أحدهم يقترب منك خوفاً من الخطر.»

شحب لون كليم من الغضب، وقالت: «إنني أعلم ما هي مشكلتك ـ إنك لا تريدني أن أقوم بالعمل الذي قمت به منذ عشر سنوات ـ فإذا قرر الرجل أن لا يتزوج، لا يلومه أحد على ذلك، ولكن إن بلغت المرأة الثلاثين من عمرها ولم تتزوج، يقولون إنها عانس، توضع على الرف وتدعى المسكينة. أما الرجال أمثالك فيعتبرون أن لديهم الحق في أن يصفوها بالعصابية، لأن الرجل يُعتبر ذا عقل كامل، وهذا قرار ممكن الدفاع عنه.»

قاطع جو كلام كليم وقال: «إنك تتكلمين للعموم، وتعطين عدة أوصاف لشخص واحد في هذا المجتمع، وأنت أيضاً تجردينني من شخصيتي، وتجعلينني أشعر بالذنب. ذكية جداً! كل كلمة نطقت بها صحيحة. فهناك انحراف هائل في مجتمعنا ضد المرأة التي تعيش منفردة. وعندما نخرج مع بعضنا سيكون لنا جدال مهم ومنتج بهذا الموضوع، ولكن ليس الآن لأني لا أريد التكلم عن العموم، أنا أتكلم عنك وعني فقط. شخصين محددين لحالة معينة...»

قاطعته كليم وقالت: «إن ما أعاني منه الآن هو تأخري عن الحفلة، ولن أخرج معك إلى العشاء أبداً... أبداً!»

«لِمَ لا؟ هل لأنني سأفسد المخطط الذي وضعته لمستقبلك؟»

قالت كليم وهي تنتعل حذاءها: «إنس الموضوع يا جو، إن الذي بيننا هو مجرد جدال، يا إلهي، لماذا حصل كل هذا الجدال في هذه الأمسية بالذات، وعلى كلٍ شكراً جزيلاً.»

أجاب جو: «متى ستخرجين، يا كليم؟»

قالت كليم بعد أن انتعلت حذاءها: «أنت كبراد، لا تريد أحداً أن يعترضك أو أن يقول لا ـ أريدك أن لا تنسى هذه الجملة يا جو ماكنيل ـ وهي بأني سأتصرف بالطريقة التي تحلو لي، وعندما تنتهي مدة إقامتك هنا ستغادر، من دون أن يراك أحد.»

شعر جو بالاستياء حين شبهته كليم ببراد لأنه يفترض بها أن تعرف من يكون هو. فكر جو: في الحقيقة أنا لا أستطيع أن أحتمل قولك كلمة لا لي. فما كان منه إلاّ أن تخلّى عن حكمته هذه المرة وأمسكها من يدها، وشدها نحوه ليعبر عن الكبت الذي عاناه، عانقها عناقاً طويلاً ومعبّراً عن شوقه إليها، وما كان منها إلا أن رفسته على رجله مرتين، الأولى جعلته يشعر بالإثارة والثانية جعلته يشعر بالوجع، تركها تبتعد عنه وقال: «اعترفي لي يا كليم ـ سوف تشعرين بالفرح في حفلة الباليه معي.»

كان ردّها يظهر قبولها حين قالت وهي تبتسم: «لكنك كنت منذ قليل مع ساندي.»

عندما حاول جو الإجابة، أضافت وهي تسير في الرواق، : «أعذرني، أرجوك، يجب عليّ أن أنهي استعدادي للذهاب.»

لقد ربحت تلك الجولة، قرر جو وحاول جاهداً أن يطبق فمه حتى لا ينادي اسمها. كانت عواطفه تغلي بداخله كالبركان، وكان هناك مزيجٌ من الغيظ والرغبة والحرمان ـ مما جعله يفكر بأن يقيم معها علاقة لم تختبر مثلها قط.

عندما أغلقت كليم باب غرفتها، كان جو يُصارع من أجل السيطرة على نفسه، كان يشعر وللمرة الأولى في حياته بهذا الشعور ـ وبهذا الإضطراب بين العقل والجسد، كان يعي خوفه، الخوف من المرض الذي جعله أكثر خوفاً.

ربما كانت كليم لا تريده حقاً. أو ربما هي فعلاً لا تشعر به.

عندما تزوج والده آرابيللا، انطوت أمه على نفسها حتى أن أعصابها أُرهقت. واضطر جو لمواجهة مشكلات لم يكن مستعداً لها. لم يستطع أن يعيش مرتاحاً لا في تفكيره ولا عواطفه وكان آنذاك في الخامسة عشرة من عمره، وكان دائماً يتذكر كلام والدته اليائس: «الزواج يحتاج إلى رجل وامرأة، يا جو ـ فشخص واحد منهما بمفرده لا يستطيع أن يعيش الحياة الزوجية، فأبوك لا يريد أن يعيش معي كزوج وزوجة، لذلك لا أستطيع أن أفعل شيئاً لاقناعه.»

وهذا بالضبط ما يفكر به جو وهو يستمع إلى وقع قدمي كليم وهي تسير في غرفة النوم، الحياة الزوجية بحاجة إلى شخصين متكافئين، وهو لا يستطيع تأمين ذلك بمفرده.

كان موعد مجيء دونكان وارداً في أية لحظة، هل تريده أن يجدك تقف وتتمنى مداعبة المرأة التي سيخرج معها إلى الباليه؟

فَقَدَ جو صبره ونزل السلّم بعد أن أخذ معطفه ومفاتيح السيارة وترك البيت. وبينما كان ينعطف على زاوية الطريق، رأى سيارة المرسيدس تقتحم الشارع نحو بيت كليم، حينئذٍ أخذ جو يتفوه بكلمات نابية وبصوتٍ عالٍ، وقرر أن يذهب إلى السينما، لأنه لا يريد أن يبقى في البيت ينتظر رجوع الآنسة كليمينتيا ديلاني من سهرتها!

عند الساعة التاسعة كان جو في طريقه إلى البيت. لائحة الأفلام في السينما لم تعجبه، فمرّ على محل لبيع أشرطة الفيديو واشترى فيلماً كان قد قرأ قصته من عدة سنوات يحمل اسم: الطيش الذي لايحتمل ؛ وعند وصوله إلى البيت استعار مفك براغي من عند كليم ليشغل الفيديو بواسطته، وضغط على الزر الكهربائي فظهر اسم الكاتب على الشاشة. حضّر جو مشروباً قبل أن يجلس لمشاهدة الفيلم وبعد أن أرجع المفك لكليم.

كان جو يجلس في المطبخ حين سمع وقع أقدام ناعمة، وصوت الباب وهو يُغلق.

حاول الاستماع إلى شيء أكثر من ذلك، لكنه لم يسمع شيئاً، وسمع طقطقة قبضة الباب عندما كانت تُفتح، ولكنها لم تكن كليم. لأنه وكما رآها خرجت بفستانها الأسود الجميل مع دونكان.

خلع جو حذاءه، ومشى بخطى خافتة، نحو شقة كليم. وقال في نفسه أيّاً كان هناك سيدفع ثمن مجيئه إلى بيت كليم.

نزل جو السلّم درجة درجة، وهو ما يزال يستمع إلى

صوت طقطقة في الداخل، مسك قبضة الباب، فتحه بسرعة ودخل.

سمع صرخة عالية وكانت كليم داخلاً.

كان صوتاً عالياً سبب صدىً في أذني جو وقال: «هذه أنت!»

جلست على سريرها، وقالت: «لقد أخفتني وكأنني فقدت عشر سنوات من عمري... ماذا؟ تظن نفسك تفعل؟»

«كنت أريد القبض على الشخص الذي دخل بيتك في الوقت الذي كنت فيه في سهرتك.»

«أنا لست في السهرة، كما ترى.»

كانت كليم ترتدي سروالاً من الجينز وقميصاً قديماً وكانت قدماها حافيتين؛ وكان هناك زوج من الجوارب السوداء على حافة الكرسي، بينما كان فستانها الأسود ملقى على السرير. أخذت كليم فرشاةً من حقيبتها وأخذت تسرّح شعرها، قال جو: «أعرف انك لم تقفي لأني رأيت دونكان وهو في طريقه ليأخذك معه، إذن ما الذي جرى، يا كليم؟ هل تخبئينه تحت السرير؟»

أجابت كليم وبصوتٍ خافت: «عندما أتيت إلى هنا منذ ثلاثة أسابيع، تكلمنا عن العزلة، اسمح لي بعزلتي واصعد إلى الطابق العلوي واهتم بعملك الخاص.»

جلس بجانبها وقال لها: «تكلمي يا كليم، وافعلي ما تشائين... فأنا الوحيد الذي تستطيعين أن تثقي به، أتذكرين ذلك؟»

«لا أريد أن أتذكر!»

«آه، هيا، اخبري أخاك الكبير جو بكل شيء عنك.»

«حسناً، السبب هو أنني دخلت إلى منزلي وكأنني لص كي لا تسمعني.»

«لقد أخبرت دونكان عن ثمن فستانك، وتراجع عن دعوته وفضل أن يلازم أحسن الأماكن في البيت.»

ابتسمت كليم، وقالت: «حسناً، لم يكن ذلك، يا جو. لقد تلقيت اتصالاً من موريل براونلي فور وصوله. أدخلت موريل ابنتها جيني إلى مركز العناية هذا الاسبوع ـ فهي جديدة في هذه المدينة، ولا تعرف كيف تتصرف، وليس لديها عمل أو مال. صدمت سيارة جيني هذا المساء، فاتصلت بي موريل من المستشفى في حين كانت جيني تخضع لعملية مما جعل أمها على وشك أن تفقد عقلها من شدة قلقها.»

«إذن ذهبت أنت لموريل، وتركت دونكان يذهب بمفرده إلى سهرة الباليه؟»

كانت كليم تبدو حزينة، نظر جو إلى ساعته، وقال: «ارتدي ثيابك وسآخذك إلى هناك، كما أظن يمكنك الوصول إلى حفل الاستقبال، هذا إذا لم يكن هناك شيء آخر.» كان من الغباء أن يدعها برفقة رجل آخر، وخاصة في ذاك الفستان الأسود، ولكنه كان يدرك كم كانت متشوقة لحضور هذه السهرة.

قالت كليم بحدة: «فور أن أوضحت له الأمر، كان عليّ الذهاب والبقاء مع موريل إلى أن تنتهي جيني من العملية، ولكن دونكان استاء من ذلك وما كان منه إلا أن اتصل بأمه، التي أتت وبقيت مع موريل. لقد كان... منزعجاً.»

قال جو: «يا له من لعين.»

«أريدك أن تعلم بأن ماضيه خالٍ من أي شوائب.»

«ماضيه... ربما. لكن ليس تصرفاته.»

أضافت كليم وكأنها لا تريد الدخول في ذلك الموضوع: «إن تذاكر الدخول قد بيعت حتى ليلة الغد.»

قال جو بتهور: «كليم، عندما تعرض حفلة الباليه التالية في المدينة، أقسم لك على أنني سآخذك إليها.»

«من المحتمل أنك ستكون قد تزوجت من ساندي في ذلك الوقت.»

«حتى لو كان لدي عشر زوجات، سآخذك معي.»

قالت كليم: «إذن، سنذهب جميعاً إلى هناك، نحن الاثني عشر في موكبٍ واحد، وأتمنى أن يذهب دونكان ووالدته معنا أيضاً.»

ابتسم جو وقال: «بشرطٍ واحد، أن ترتدي ذاك الفستان الأسود.»

ضحكت كليم وقالت: «إنها مناسبة تماماً. سيكون عليّ أن أعد بعض قطع الشوكولا، شكراً يا جو... لقد فهمت لماذا كان يجب أن أذهب إلى قسم الطوارىء، أليس كذلك؟»

«أنت لن تتمتعي بحفلة الباليه إذا كنت غير مرتاحة يا كليم. أخبريني كيف حال موريل وجيني.»

«لقد خدروا رجل جيني التي كان فيها رضة مزدوجة، ولكنها ستكون بخير. أرادت موريل أن يكون لها مساعد وهي تنتظر، وحين خرج الطبيب من غرفة العمليات، اطمأنت على ابنتها.»

تذكر جو صديقة بيتر، جودي. واقتنع بأنها ما كانت لتتخلى عن مقعدها بجانب هذا المحامي المشهور، لتجلس

بجانب والدة قلقة في غرفة الانتظار في المستشفى. وقال في نفسه: جودي كانت ستذهب حتماً إلى حفلة الباليه. فلقد كان يتذكر ذلك ويقارنه بموقف كليم الآن مع موريل. وقال: «أنت إنسانة حسنة، يا كليم.»

بدت كليم وهي مرتبكة، وكأن كلامه أنقص من توازنها: «آه، في الواقع لا.»

ابتسم جو وقال: «و... الآن، أنت قلت بأنه ليس لديك أي موعد مساء الجمعة ـ لقد أحضرت اليوم من محل الفيديو، فيلماً بعنوان الطيش الذي لا يحتمل. لِمَ لا نشاهده سوية؟»

نظرت إليه وقالت: «لا ينبغي لنا أن نعطي مواعيد لبعضنا الآن. ذلك سيفسد كل شيء.»

قال جو بصراحة مطلقة: «أنا لم أقصد أن أكون أحد أصحابك، يا كليم.»

لم يكن قصد جو بالحقيقة أن يكون أحد أصحابها، فهو يريد أن تكون له وحده، ولا يشاركه أحد بها على الاطلاق.

«حسناً، لِمَ لا نعد الفُشار (البشار) لأنك لا تستطيع أن تشاهد سينما من دونه.»

«بالزبدة!»

«وكثير من الملح، كل الأشياء المضرة لك. لقد اشتريت ذرة جديدة الأسبوع الماضي.»

بعد عشرين دقيقة، كان كل من كليم وجو يجلسان بجانب بعضهما بعضاً على الكنبه في غرفة جلوس جو، وكان هناك قدْرٌ كبير من الفُشار بينهما، وبدأ بتشغيل الفيلم.

كانت الجملة الأولى التي نطق بها توماس، البطل، لإحدى حبيباته: «ابدلي ثيابك.» فما كان منها إلا أن استجابت له.

أما المشهد الثاني فكان مع حبيبته الثانية سابينا، ذات القبعة الساحرة والثوب الفضفاض كان شعرها متدلياً على كتفيها... وأخذا يتعانقان ببطء ليوحيا بعلاقة حميمة هي كل الغاية من ذلك الجزء من الفيلم.

كان جو يعي وجود كليم بجانبه، متمنياً لو أنه اختار فيلماً غير هذا، أخذ يأكل الفُشار بسرعة، وينظر الى شعر كليم المربوط، ولونها العاجي... كانت تبدو فاتنة.

شعر جو باضطراب في خاصرته، ولم يدعها تلاحظ ذلك، كان الفيلم انتقل إلى مشهد آخر في الفندق حين ذهب توماس مع تيريزا التي ستصبح زوجته، لكن كان هناك مشاهد أخرى من تبادل الحب في الفيلم، وخلال عدم ارتياحه، كان يعلم ما تشعر به كليم حين انتقلت إلى آخر الكنبة. لم تكن في وضع أحسن منه، ولكونها امرأة لم تكن قلقة بأن تظهر أية إشارات تبين حالة اضطراب مشاعرها.

انتهى عرض الفيلم... النهاية كان يعرفها جو عندما قرأ القصة من قبل. مدّ جو يده ليأخذ الفُشار في الوقت ذاته كانت كليم تمدّ يدها في القدر، فما كان إلا أن تلامست يداهما، سحبت كليم يدها بسرعة وكاد الفُشار أن يقع على الكنبة... أمسك جو به وقال: «هل أعجبك الفيلم؟»

قالت كليم بصوت خافت لكنها لم تدع عينيها تريان عينيه: «لا بأس به، لكنه أطول مما كنت أتوقع... من الأفضل أن أذهب للنوم.»

حاولت كليم أن تأخذ القدر، فما كان منه إلا أن أمسكه وقال: «كليم، أنا...»

«أعطني ذلك القدر.» طلبت كليم وتحولت تلك المشاعر الجديدة فجأة إلى عداء بينهما.

كان رده أن أمسكها من يدها وعانقها بحرارة، وكأنه بحاجة ماسة إلى ذلك.

كان يتوقع أن تمنعه عن ذلك باستخدام أسنانها وأظافرها، بدلاً من ذلك، ما كان منها إلا أن أحاطت رقبته بيديها، كان يعلم بأنه يريد هذه المرأة أكثر من أية امرأة في العالم.

ابتعدت عنه، وقالت: «لا، يا جو، لا.»

كانت عينا كليم تظهران الخوف، بينما كانتا منذ لحظات تظهران العاطفة، قال جو: «هل آلمتك؟ كليم، أنا آسف...»

قالت كليم، وهي تعض شفتيها: «لا، لم تؤلمني، لكن يجب عليك التوقف، لا أدري ما الذي جرى لأتصرف بهذه الطريقة، لن أفعل ذلك ثانية، إلا إذا أُصبت بالجنون...»

ابتعد عنها وأخذ يلامس شعرها وقال: «أنت سليمة العقل، ولست مجنونة إن الحب هو شيء طبيعي لكل إنسان. نحن نريد أن نقيم علاقة مع بعضنا بعضاً...»

«لا، لن نفعل! كل ذلك حصل بسبب ذاك الفيلم، لا أريد أن أفعل ذلك معك، يا جو، أنا لن أفعل.»

كانت تحاول تحرير يديها منه، وكانت تظهر بمظهر مخيف وكأنها حيوان مفترس سقط في مصيدة.

ترك جو كليم تقف، فقام ووقف بجانبها. إن الاضطراب الذي شعر به قد خفت حدته، ولكن اشتدت سرعة تفكيره. لم

تكن كليم تُمثل، فخوفها كان صادقاً. سارعت نبضات قلبها التي سمعها وهي تلثمه، كان ينظر إليها بصمت وهي تأخذ قدر الفُشار وقالت له قبل أن تترك الغرفة: «تُصبح على خير.»

كان جو يحدق إليها، ويفكر بما تعني كلمتا العاطفة والخوف!

إن المزرعة التي تملكها عائلة ساندي تقع على طول شبه الجزيرة الحمراء المسماة بلوميدون، ومياه خليج فاندي. كان منظر غروب الشمس جميلاً للغاية، وكان الأكل لذيذاً، والاستقبال حاراً، مما جعل جو يرتاح نفسياً. كانت كليم معه في عقله طول الوقت الذي كان يقضيه مع ساندي وهي ترعى البقر، تغسل الصحون... وفي وقت لعب الورق كان يفكر بها.

لم يذكر اسمها أمام أهل ساندي، كما أنها... أي ساندي... لم تذكر اسم جيمي أمامهم. عندما كان جو في طريقه إلى هاليفاكس مع ساندي كان يشعر بأن هناك أربعة أشخاص في السيارة، كليم صاحبة الشعر الجميل، وجيمي أيضاً. عندما وصلت ساندي إلى منزلها لثمها جو من خدها وشكرها على الزيارة الجميلة التي قضاها في صحبة أهلها في نهاية الأسبوع.

كانت سيارة جيمي متوقفة في الموقف. في صباح يوم السبت كان جو قد وضع ورقة على الطاولة كي لا تقلق كليم لنومه خارج البيت في ضيافة عائلة ساندي. والآن لقد ندم على فعله هذا، لأنه بتلك الطريقة سترتاح كليم

لعدم وجوده، وتستغل هذا الوقت باستضافة جيمي في منزلها.

كان يتصور شكليهما وهما في البيت. استمر في تفكيره بذلك الموضوع. لقد علم من تجربته الشخصية أن كليم كانت امرأة عاطفية، ربما جيمي لم يخفها مثله، حتى أنه ربما استطاع أن يخفف من عاطفتها.

وضع جو السيارة في المرآب، وجلس بها بعض الوقت، وأخذ يتساءل عما جرى له؟ كيف استطاع في مدة ثلاثة أسابيع أن يقع في غرام تلك المرأة التي غيّرت حياته كلها؟ لقد أتى إلى هنا ليرتاح ولكي يشعر بالأمان. كان يرى يديه ترتعشان وكأن أسداً جائعاً كان قد قطعه إلى قطع صغيرة.

أجبر جو نفسه على التنفس، وقال في نفسه إنه ليس له أية علاقة ليتدخل بحياة كليم، وبما فعلته في نهاية الأسبوع. وبعد ذلك، نزل من السيارة وأخذ حقيبته ودخل البيت.

فيما سار في المدخل، سار الأسد وراءه، وتطلب الأمر كل شجاعته حتى لا يستدير ويرجع إلى السيارة ليقودها بعيداً عن المنزل. وإضافة إلى ذلك الصراع كان هناك عنصر خائن آخر، البيت نفسه قد خانه أيضاً. لأن الترحيب الذي استقبله كان وهماً، فقد أمن له هذا المنزل كل شيء إلا السلام. واقترب من السلم متردداً. سوف يصعد إلى الطابق العلوي، يسكب شراباً قوياً لنفسه ويشاهد التلفاز بصوت عالٍ، قرر في نفسه بأنه في النهار التالي سيبحث عن مكان آخر ليسكن فيه.

فُتح الباب الأمامي ثم أغلق وأخذ جيمي ينزل السلّم. عندما رأى جو، توقف عند الدرجة الثالثة. كان يرتدي ثياباً تليق بجسمه الرياضي... وجهه القوي البنية لم يتحرك، ونزل ما تبقى من الدرجات ببطء.

قال جو لجيمي، ولم يستطع أن يكبت عداءه له: «كيف أمضيتما نهاية الأسبوع؟»

أجاب جيمي: «بشكل رائع، لقد قرأت الورقة التي كانت على طاولة كليم، وعرفت بأنك ذهبت لقضاء نهاية الأسبوع مع عائلة ساندي.»

كان جيمي أقصر من جو بحوالى البوصة، لكن جسم جو كان أضعف منه بسبب بقائه في الجسم مدة أربعة أشهر، ومعاناته من الملاريا هناك، سأل جو جيمي: «لا بد أنك أمضيت العطلة مع كليم.»

«لا، لم أفعل ذلك.»

«أعرف بأنك أخذتها إلى العيادة البيطرية نهار السبت، وأنت بقيت هنا إلى الآن، أي حتى الأحد مساءً، هل لك أن تخبرني أي شيء آخر يعني ذلك؟»

«لا أريد أن أجيبك، لكني قلت لك بأني لم أقضه هنا معها! أنت خرجت مع ساندي، أليس كذلك؟»

«وماذا يعنيك ذلك؟»

«لا شيء.»

شعر جو بنفسه وكأنه تلميذ في المدرسة، يلعب ويمرح في ملعبها بسرور، وبأن جميع أحاسيسه كانت مرتاحة... كان يرى الغضب يخرج من عيني جيمي الزرقاوين وقال: «لقد أخبرت ساندي منذ سنة بأنك لا

تريد أن ترتبط بأحد، وأنت الآن تفعل ذلك مع كليم وبأي حق تشعر بالانزعاج إذا كانت ساندي قد خرجت معي أم مع أي شخص آخر؟»

أجابه: «لا، لم يضايقني ذلك.»

قال جو: «جيمي، ساندي ستقتلني إذا علمت بما سأخبرك به الآن، ولكنني وبأية طريقة سأخبرك به، إنها تحبك كثيراً، وتعاني من ذلك الحب منذ أحد عشر شهراً. متى ستفعل شيئاً من أجل ذلك؟ أو هل تريد أن تفعل شيئاً؟»

«أنا لن أدعك تضحك عليّ بهذه الكلمات، يا جو.»

«لكني أقول الحقيقة.»

«ومع هذا كله قضيت نهاية الأسبوع معها.»

«أنا معجب بساندي، وهي معجبة بي أيضاً، فنحن لم نستغل ذلك لنقول بأننا نحب بعضنا، ولا تسألني أن أشرح لك المزيد، لأني لا أستطيع ذلك. وأنا لم أفعل معها شيئاً سوى أني لثمتها من خدها.»

لم تتغير ملامح وجه جيمي المتصلبة، وقال: «عندما قرأت الورقة نهار السبت، شعرت بأن شيئاً قد ضايقني... لا تضحك، يا جو، أنا أعني ذلك. اعتبرت بأني قد نسيتها... فهي أول من رأيته بعد وفاة زوجتي، ولذلك رفضت أن أراها... لأنه كان الحل الوحيد لكل منا، كما اعتقدت، ومع هذا عرفت بأني جرحتها في الصميم. لم أحبذ رؤيتكما معاً في الحفلة عند بيتر وميندي... ولكن تلك كانت مجرد حفلة، فالأمر يختلف عن قضائكما العطلة معاً.» تردد جيمي قليلاً، وتابع: «هل قلت بأني إذا دعوتها للخروج معي ستفعل ذلك؟»

قال جو وهو يتصور الخوف والحزن اللذين رآهما في عيني ساندي الواسعتين: «بالتأكيد لن تفعل إذا لم تطلب منها ذلك.»

ابتسم جيمي وقال: «أجل معك حق. نسيت أن أخبرك بأهم نقطة، ألا وهي أني لم أقم أية علاقة مع كليم أبداً، فهي صرّحت لي بوضوح من البداية بأن علاقتنا هي فقط صداقة وهذا ما أوصلني إلى المتاعب مع ساندي. فأنا وكليم رفيقان، يا جو. لا أكثر ولا أقل، وأنا لا أعتقد بأنها ارتاحت إلى تلك الورقة، مثلي.»

حاول جو أن يخفف الطوفان العاطفي الجياش، عندما أخبره جيمي بذلك وقال: «لقد أثرت بي كثيراً... اذهب واتصل بساندي.»

«وما الذي سيحصل إذا لم توافق على التحدث إلي؟»

«بل ستفعل ذلك، لا تخف.»

«هل تعرف؟ اللاعب الأكثر خشونة الذي اتعامل معه، أواجهه كل يوم أكثر من ساندي، فأنا لا أخاف منه.»

ضحك جو، وشعر بحبه لجيمي، لأنه لم يكن كما كان يظن به من قبل، وقال: «لكن لا تعتبرها هبة.»

قال جيمي: «هل تمزح؟ سأخبرك شيئاً... إذا وافقت ساندي على الخروج معي، سوف نخرج نحن الأربعة: ساندي وأنا، كليم وأنت.»

«كليم لن تخرج معي حتى لو كنت الرجل الوحيد في هذا العالم.»

«هل طلبت منها ذلك؟»

«لم أفعل...»

قالت كليم وهي في الرواق الأمامي: «هل من خطب، يا جيمي؟»

ادار جو وجهه، فلم تعرف بوجوده، قطب جيمي حاجبيه ساخراً وقال لجو بصوت هامس: «أنا لم أخبرها عن ساندي.»

«أنت تدبر أمرك مع ساندي، وأنا سأتدبر أمر كليم.»

وضع جيمي يده بخفة على صدر جو وقال قبل أن يذهب: «شكراً لك أيها الرجل.»

صعد جو السلم، فوجد كليم واقفة، قال لها: «مرحباً كليم.»

نظرت إليه وقالت: «عم كنت تتكلم مع جيمي؟»

«ساندي.»

كان لسانها يتلعثم حين قالت: «أتمنى أن تكون قد أمضيت نهاية أسبوع ممتعة معها.»

وقبل أن يجيبها، كان يفكر بما قاله له جيمي بأنه هو وكليم مجرد رفيقين، وبأنهما لم يقيما علاقة مع بعضهما البعض لأنها لا تريد ذلك... إذن يجب عليه أن لا يغار منه على كليم.

وكذلك هي بالتأكيد لم تقم علاقة مع دوغلاس أو دونكان، وقال: «كليم، هل سبق وأقمت علاقة مع أحد؟»

احمّر وجهها وقالت ببرودة: «عمّ تكلمت مع جيمي؟»

«قلت لك ـ عن ساندي. هي في علاقة حب مع جيمي، وأعتقد بأنه يبادلها الشعور نفسه، لكنه خائف من إظهاره لحقيقة مشاعره.»

«لم يسبق وذكر اسمها أمامي، هل أنت متأكد من ذلك؟ لو كنت أعرف ذلك لما خرجت معه ولا مرة!»

«أنا أعلم أنك ما كنت لتفعلي ذلك، يا كليم.»

«إذن، في الأسبوع الذي خرجت فيه مع ساندي استطعت أن تعرف ما لم أستطع معرفته من جيمي، مع أننا كنا صديقين.»

«غالباً الرجال لا يتكلمون عن شعورهم وأحاسيسهم.»

«إنها حقيقة كافية، عندما رأيتكما من النافذة، كنتما تتكلمان وكأنكما ملاكمان محترفان.»

«كانت في البداية صعبة بعض الشيء، فلم يكن يريدني أن أقضي نهاية الأسبوع مع ساندي، وأنا لم أكن أريد أن أراه هنا عندك، وكيف ذلك، إنه لشعور نبيل وشريف، يا كليمينتينا!»

«ليس لك أي حق عليّ.»

«مهما كان ذلك.»

هبت رياح باردة، جعلت كليم ترتجف من البرد فقال جو: «سنناقش حبنا المزعوم في الداخل حيث الدفء.»

«ليس هناك ما نناقشه.»

«إذن، سنتكلم عما فعلناه في نهاية الأسبوع مع فنجان شاي في المطبخ.»

«شيء واحد عرفته عنك، يا جو... أنت إنسان مثابر ومواظب، سأدخل وأعد لك الشاي.»

لم يكن ذلك موعداً، لكنه كان أفضل من لا شيء، وكليم... إذا لم يخب ظنه... وكما يعتقدها، فهي عذراء.

• • •

لم يدُم الحديث عن عطلة نهاية الأسبوع طويلاً، فتفكير كليم كان لا يزال منهمكاً بجيمي وساندي. صعد جو إلى

غرفته، فهو لم يستطع التمادي معها بسبب الخوف الذي سببه لها مساء الجمعة على الكنبة.

أشعل جو النار في المدفأة، وجلس على الكرسي ينظر إلى شرارات النيران، ويفكر بأن كليم منذ سنوات ترفض أن تقيم علاقات حسية، لأنها تولّد العلاقات غير الشرعية، وهذه العلاقات تولد الوعد. وكليم لا تؤمن بالوعد، لأنها تأخذ ذلك مقياساً على والدتها، آرابيللا.

إن كليم لم تكن أكثر منه معرفة باستيائها لما حصل نهار الجمعة... فالاندفاع كان قوياً لكنه مدهش في الوقت نفسه. لقد شعرت كليم بكل ذلك، لأنه واجه البيت الذي كانت تصنعه من الورق المقوّى والذي كانت تحتمي به لتحافظ على نفسها.

لذلك كانت كليم تريد أن تبقيه بعيداً عنها وعلى مسافة. مساء الجمعة كانت الغلطة الوحيدة التي اقترفتها. مساء الجمعة كانت قادرة على الهروب بسرعة. إنه يعلم ذلك، وأسوأ ما في الأمر أنها هي أيضاً تدرك ذلك.

بسبب ليلة الجمعة، وما جرى فيها، كان جو خائفاً أن يطلب منها موعداً للخروج معه إلى أي نادٍ ليلي ليتناولا العشاء وليرقصا فقط، فهي في هذه الحالة ستخرج مع عشرة مدربي كرة ولن تفعل ذلك معه. لذلك أخذ يخطط لما يجب أن يقوم به، بأي شيء ينفع في اختراق كل دفاعاتها وفي بناء ثقتها به، لأن كليمينتينا أصبحت مهمة بالنسبة له.

هل هو يحبها؟ حين كان في السجن، كان يتصور الحب وكأنه أشعة الشمس الذهبية التي تغطي البساتين وزهورها... بأمان وجمال في آن واحد. وما يشعر به

الآن هو الغيرة، والرغبة. هل أن ذلك هو أيضاً جزء من الحب؟

لم يكن لديه طريقة لمعرفة ذلك. فهو لن يستطيع الراحة، إلا بعد أن يكتشف سبب غموض كليمينتينا... حين يراها.

الفصل السادس

كان صباح يوم الاثنين جلياً وبارداً، ذاك اليوم الذي يريد جو أن يبدأ بتنفيذ خطته. ترك البيت عند الساعة الحادية عشرة متوجهاً نحو محل لبيع الألعاب، ومن ثم إلى مركز العناية بالطفل، حيث تعمل كليم، قبل خمس دقائق من موعد الغداء. دخل ورأى كليم تحمل روبين بين ذراعيها، وكان هناك أيضاً ثلاثة أطفال يحيطون بها، تلاعبهم وتضحك معهم. وفجأة تصوّرها وهي تحمل طفلهما، وكأنهما متزوجان، مما جعله يشعر بتعلقه بها أكثر فأكثر.

قال جو: «مرحباً، كليم.»

عندما رأته، وضعت روبين أرضاً، فتهادى روبين في مشيته نحو جو، وقال: «أبي... لقد جاء أبي...»

حمل جو روبين بين ذراعيه، وهو ينظر إلى كليم التي كانت متوجهة نحوه، فهو لم يكن يعرف إذا كانت فعلاً مسرورة لرؤيته، أم أنها كانت تريد أن تسأله عن سبب مجيئه، فكر وقال: «هل أنت مشغولة هذه الساعة؟» أومأت كليم برأسها، فقال: «حسناً! احضري معطفك وهيا بنا.»

«إلى أين؟»

«سوف ترين، هيا تعالي.»

«يجب أن أخبر لويز بأني خارجة.»

«إذن، أسرعي.» دخل جو، وضع روبين على الأرض وأعطاه بعض الألعاب، وعندما عادت ساعدها في ارتداء

معطفها واتجها إلى السيارة. حين جلست كليم بجانبه في السيارة، قال: «سنذهب إلى تلة سايتدل لنطيّر طائرة ورقية، وجلبت معي السندويشات لتأكلي ونحن في طريقنا.»

شعرت كليم بغبطة وسرور، وقالت: «كيف علمت أني أحب ذلك؟»

«لقد خمّنت.»

«أراك ذكياً جداً، أليس كذلك؟»

قال جو: «أبدو كذلك في بعض الأيام، أكثر من الأيام الأخرى.»

قاد جو السيارة نحو قلعة الغرانيت المبنية على التلة منذ القرن الثامن عشر، توقف هناك وترجلا من السيارة. هناك على المنحدر العُشبي، أعطى كليم الطائرة الورقية التي كانت على شكل تنين عيناه صفراوان وذيله أخضر، فأطلقتها في الهواء وهي تمسك الخيط بيدها. وبعد قليل أمسك جو بالخيط لمدة عشر دقائق، وبعدها كليم أيضاً. ثم ثبتاها جيداً بالحجارة، وجلسا بالسيارة ليأكلا السندويشات.

كان لون خدي كليم أحمر من شدة الهواء. وعندما أعادها إلى مركز العناية بالطفل، اقتربت منه، وقالت: «شكراً لك يا جو، كان ذلك ممتعاً.»

قبّل جو أنف كليم الذي كان أحمر أيضاً من شدة البرد، وقال وهو يستعد للانصراف بسرور: «إني في الخدمة متى شئت.»

في ذلك المساء، وقبل مجيء دوغلاس بحوالى نصف ساعة، نزل جو إلى شقة كليم وسمعها تقول: «إنني في

المطبخ.» كانت تجلس على الأرض وبجانبها هرة لم يسبق له أن رآها، هرة سمينة جداً، ذات شعر رمادي طويل، وقالت: «إنني أعتني بها من أجل صديقتي نيكولا... اسمها مايجور. إن آرمند يحبها، أما روزبد فهي تتكبر عليها... أتمنى أن ترتاح معنا هنا.»

كان جو يريد أن يحتضنها ومايجور بين ذراعيها ولكنه فكر بأن هذه ليست الخطوة الثانية لمخططه، فسألها: «كليم، هل تريدين أن أدهن لك غرفة الطعام؟ إنني أتقدم بهذا الاقتراح لأعمل شيئاً جديداً، فأنا لدي الوقت الكافي لذلك، والدهن هو إحدى المهمات التي تتطلب أفكاراً وأعصاباً هادئة، كتلك التي أتمتع بها الآن.»

جلست كليم على ركبتيها وقالت: «ماذا تريد بالتحديد، يا جو ماكنيل؟»

«يوم انتقلت إلى هنا قلت لك بأنني سوف أقوم ببعض الأعمال الزائدة، بعض التصليحات أليس ذلك ما قلته؟»

«هذا كان منذ شهر على الأقل... ما الذي دفعك لأن تهتم وتتحمس لذلك الآن؟»

أزاح جو الكرسي، جلس ووضع رجليه على الطاولة: «إنه جزء من مخططي الجديد، فإذا سألتك عن تحديد موعد، سوف ترفضين، وأنا أكره الرفض كما تعلمين. لذا أطلب الاقتراب منك ولكن بطريقة غير مباشرة.»

«طيارة من الورق، دهن غرفة الطعام. ماذا أيضاً؟»

«إذا أخبرتك، لن تفاجئي بذلك.»

«لا أستطيع أن أتخيل السبب للخروج معي مع أني لست لطيفة معك.»

قال جو بفخر: «لست متأكداً من ذلك حتى الآن... ولكن دهن غرفة الطعام هو ما آراه مناسباً الآن... اختاري لوناً وسأحضر أنا الدهان.»

اقتربت كليم من المغسلة، وجلبت بطاقة عليها عدة ألوان وقالت: «إنني أعرف ما اللون الذي أريده، الأبيض لدهان الجدران وتزينها بخطوط من اللون الأخضر... أظن أن اللون الأخضر يناسب جميع نباتاتي هنا... إذا فعلت هذا لي، سأشعر بأني مدينة لك بذلك، هل هذا جزء من مخططك؟»

«اجعلي الدين بنسبة أكبر من ذلك.»

قالت بصوت مرتفع: «إنك تخيفني يا جو.»

مدد جو جسده، وهو يجلس على الكرسي وقال: «إنني أعلم أنني أخيفك، ولكن أبذل جهدي لعدم فعل ذلك.»

«لكنك تريد إقامة علاقة معي. الآن؟»

«طبعاً.»

«جو، تستطيع دهن خمسين غرفة طعام، ولكن لن أفعل ما تريد بالمقابل.»

قام جو عن الكرسي، ووقف وقال: «لا تقلقي يا كليم، لن يحصل ذلك إلا بموافقتك، لأننا نحن الاثنين نريد ذلك. وإذا لم يحصل... لا بأس، سأحرث لك الحديقة وأحتلها لإقامة سباق المراتون... والآن الأفضل لي الخروج من هنا قبل مجيء دوغلاس.»

«وهل تخطط أيضاً لتسبق جيمي في المراتون؟»

«أنا لا أريد السباق مع أحد، يا كليم، وعندما تجهزين نفسك للدهان ستخصصين وقتاً لي... أرجو أن تجهزي

أيضاً بعض الثياب القديمة لتغطي بها المفروشات في غرفة الجلوس، هل هذا واضح؟»

بدأ جو العمل بدهان غرفة طعام كليم في اليوم التالي، فأخذ يضع المعجون في التشققات الموجودة على الجدران... وبعدها اغتسل، وعند الخامسة ذهب إلى مركز الرعاية وانتظر كليم حتى الخامسة والنصف وسألها: «هل تريدين الذهاب إلى خليج بيغي لتتفرجي على الأمواج هناك؟ لقد كانت العاصفة هوجاء منذ مساء الأمس وحتى الصباح.»

«كيف علمت بأنه ليس لديّ أية مواعيد؟»

«أعرف أنك سترفضين النظر إليه من أجل عيني الزرقاوين. والآن، لقد أحضرت لك قطعتين من الحلوى من الفرن.»

فتحت كليم باب السيارة قبله، جلست بجانبه، وقالت: «آه... وأخيراً وجدت الطريق الذي يؤدي إلى قلبي.»

كان جو وكليم يتكلمان طوال الطريق إلى قرية الصيد التي صنعت بيوتها من الخشب فوق صخور الغرانيت. نزل جو من السيارة، كانت الرياح قوية، مما جعله يعطي القفازين لكليم وقال: «هيا بنا نتسلق تلك الصخور، يا كليم.»

أمسك جو كليم بإحكام لتتسلق الصخرة الكبيرة ووقف خلفها ووضع يديه حول خصرها، وأخذ شعرها يلامس وجهه. استدارت لتنظر إلى موجة عالية قادمة من عرض البحر.

نسي جو بأنه لا يريد تخويفها، كما فعل مساء

الجمعة. وبقوة كتلك التي كانت تبدو وكأنها جزء من طاقة البحر العنيفة، أمسك بوجهها ولثمها، بحيث لم يحاول إخفاء رغبته في ذلك. إنه يريدها أكثر مما يحتاج إلى الهواء. وحين ارتطمت الموجة العالية بالصخرة التي يجلسان عليها، عرف جو بأن كليم تتجاوب معه.

شد جو كليم إليه، وهو يمتلىء رغبة في إظهار عاطفته نحوها... أخذ يهمس باسمها...

اشتدت الرياح وبقوة، أمسكت كليم بجو ليحميها فوجد نفسه يحدق في عينيها الرماديتين، رفع يده وأخذ يلامس كل مكان من وجهها الذي كان مبتلاً، وشعرها المبتل كان متدلياً على رقبتها، أجل، لم تبدُ جميلة بنظره كما هي الآن... لم تكن هناك كلمات ليتفوه بها... لقد جعل عناقه يخبرها بكل ما يريد قوله.

كانت الرياح تقاومهما بقوة، أحاط جو بها، وهو يريد حمايتها، وعرف أنه ليس من الممكن أن تكون هذه الساعة، أو حتى المكان مناسباً ليطلق العنان لمشاعره. أمسك بيديها الباردتين، ووضعهما تحت كنزته ليدفئهما... حينها شعرت كليم بدفئه... ارتعش جو من شدة سروره واندهاشه وشعر بها تسحب يديها بعيداً.

نظر إلى عينيها وقال: «لا، لا تسحبي يديك، أرجعيهما... سأدفئهما.»

استجابت كليم لطلبه بمزيج من الخجل والجرأة اللذين جعلا خديها يحمران أكثر فأكثر، وقال: «إنك متجلدة، يا كليم.»

أخذت كليم تضع يديها في أنحاء مختلفة من جسده، وكانت هناك إيماءة منها بأنها ستفعل ما تريد، ابتعد جو قليلاً عنها، فقالت: «ألا تحب أن أفعل ذلك؟»

«لو لم ترتدي هذا المعطف السميك، لرأيت ماذا كنت فعلت.»

«آه جو، ما الذي نفعله؟»

«نحن صادقان... صادقان بالطريقة التي نتعامل بها مع بعضنا... هذا كل ما في الموضوع. أنت هنا بأمان، أنا لا أريد أن أرميك على تلك الصخرة العارية... نحن ربما سنخاف من خداع البحر.»

وعلى الرغم من أن وحشية محيطهما تحجب كل شيء إلا الحقيقة، قالت كليم: «أنا أعلم بأني لم أفعل ذلك مع أي شخص من قبل، وأنا لا أريد ذلك أبداً، لدرجة اندهاشي ولا بد أن هناك خطأ جعلني أفعل ذلك.»

قال جو: «يجب أن تعلمي بأنه يجب أن تثقي بما تشعرين به عندما تكونين معي، هذا كل ما في الموضوع.»

«إنك دائماً تبسط لي الموضوع.»

«إن هذا الموضوع ليس صعباً، يا كليم.»

حينها قالت كليم وهي مسرورة: «دعنا نعود إلى البيت، لقد وعدت لويس بأن أعد له الشاي عند العشاء.»

كان جو يعرف أنها تريد أن تحمي نفسها. فهي كانت تستحق أيضاً أن ينتظرها، لأنه إذا استطاعت كليم التحرر من ذاك الخوف، فهو لا يتصور أنه سيجد حبيباً عاطفياً أكثر منها.

هو يريدها، نعم منذ أول يوم رآها فيه في الشارع، وهي

تغني... ولكنه مع هذا كله يريدها أن تتحرر من ذلك الخوف الذي ينتابها دائماً.

كان أول ما فعله جو في اليوم التالي، هو أن دهن غرفة الطعام لكليم من السقف وحتى الجدران بفرشاةٍ كبيرة. وبعدها أخذ يخطط الجدران باللون الأخضر الجميل الذي اختارته كليم، وكان في ذلك الوقت يستمع إلى المذياع، فرفع الصوت حتى يطغى على صوته فيما هو يردد الكلمات مع الأغنية. ترك جو دهن الخشب إلى اليوم التالي، وبعدها سيُرجع الأثاث إلى مكانه بمساعدة كليم... كليم الجميلة... وبأعلى صوته صاح وهو يعلن عدم إمكانية موت هذا الحب، كما كان ألفريدو... المغني... يقول لحبيبته فيوليتا.

وبعد ذلك، ومن خلال حاسته السادسة التي كان يعتمد عليها منذ عدة أشهر، عرف جو فجأة بأنه كان مُراقباً. وفيما توترت أعصابه شعر بأن أحداً يلمس كتفه، استدار جو من مكانه بحركة مدافعة، مما جعل الفرشاة تقع من يده.

وقعت عدة نقاط من الدهان فوق معطف كليم الأحمر. رجعت بسرعة من مكانها، حينها قال جو: «آه، اللعنة...»

قالت كليم: «أنا... تبدو جميلة جداً.»

وضع جو الفرشاة جانباً، وقال: «دعيني أنظف لك المعطف... كليم، أنا آسف، لم أسمعك وأنت تدخلين... فأنا لم أقصد إخافتك.»

انحنى جو وأخذ يمسح بقعة الدهان قرب حاشية المعطف، فقالت له كليم: «هذا أكثر ما كنت تفعله في السجن،

أليس كذلك؟ لقد أخبرتني أنهم أساؤا معاملتك في السجن.»

لم يبق هناك أي أثر للدهان على معطفها، وقف جو فجأة، وقال: «كان هذا عندما يشعرون بالضجر ولا يجدون ما يقومون به.»

«لكن يجب أن تحمي نفسك بقدر ما تستطيع.»

عبس جو، وقال: «لقد اعتدت أن أتحرك بسرعة.»

وضعت كليم حقيبتها على الأرض، وانتزعت معطفها عن كتفيها ووضعته في الخزانة، كانت ترتدي كنزة بيضاء ناصعة، اقتربت من جو، أحاطته بذراعيها وعانقته.

تلك الحركة لم تظهر ثقتها لأن شفتيها كانتا تطرحان عليه بعض الأسئلة. ولكنها كانت تشعر بارتعاشه من شدة سروره، عادت وأحاطته من رقبته وأخذت تعانقه بثقة أكبر، فما كان منه إلا أن تجاوب مع رغبتها.

عندما ابتعدت كليم عنه، كانت عيناها ممتلئتين بالاضطراب وكان خداها يحمرّان خجلاً، وقال: «سوف أدهن البيت بكامله إذا شئت ذلك.»

«أنا... أنا لا أعرف لماذا فعلت ذلك.»

ابتسم لها من جديد، وقال: «ربما لأني لا أستطيع أن أعانقك مرة جديدة. ليس قبل أن أنهي لك طلاء هذا اللون الأخضر الجميل.»

نظرت كليم إليه، وقالت: «إذن، أنا هنا بأمان... كما كنت هناك على تلك الصخرة. أغمض عينيك يا جو.»

استجاب جو لطلبها، وقف مستقيماً وهو يعرف أن وجوده معها هو من أسعد فترات حياته... عانقته من جديد،

ووضعت يديها على صدره، لكنها عادت وأبعدتهما.

فتح جو عينيه، وهو يتنفس بسرعة، أعاد يديها إلى صدره، كانت كليم تشعر بنبضات قلبه، فعانقته، وشعرت بصلابة قدرته، والإشارة الظاهرة للسيطرة على صراعه الداخلي.

عضت كليم على شفتيها، وقالت: «أنا لست عادلة. أنا لا أريد مضايقتك، يا جو.»

«أحب كل ما تفعلينه معي... ولا بأس... فأنا وعدتك بأني لن أنتهي من ذلك قبل الانتهاء من الدهان.»

«إذن، سوف تُلغي ذلك من أجل راحتي... لأني خائفة يا جو، هل تعلمت تمالك أعصابك في السجن؟ أو هل أنك دائماً تمارس ذلك؟»

«ليس دائماً، لا. فكل يوم في تلك الحفرة في الأرض، كان تمريناً لي على الحرمان والخوف، وكان علي أن أتأقلم مع ذلك... وإلا كنت جُننت.»

«كانت حياة أخرى، أليس كذلك، ليست كهذه الحياة؟ ولكنك جلبتها معك، فأنت ما زلت تفكر بها.»

قال جو بحدة: «لا تشعري بالأسف من أجلي، كليم.»

قالت كليم بإخلاص: «لست أشعر بالأسف، ولكني إذا أردت معرفتك أكثر، يجب علي أن أعلم كم أن تلك الحادثة أثرت عليك.»

ابتعدت كليم خطوة عنه، تنفس جو، وقال: «هل حقاً تريدين معرفتي؟»

عضت كليم شفتيها، وقالت بصوت خافت: «في بعض الأحيان، أريد أن نتبادل الحب مع بعضنا.»

«لقد عشت حياتك يا كليم بثبات... في بيتك وعملك حتى بين أصدقائك. من بين أصدقائك الشُبان، فأنا الوحيد الذي أقوم بالمخاطرة، أليس كذلك؟»

«عندما تريد فعل أي شيء، لا تتراجع عنه.»

«ربما لا تريدين ذلك...»

«ربما.»

قال جو، وهو يمتلىء فرحاً: «لماذا لا تمنحينني نصف ساعة فقط، لأنتهي من هذا الحائط، وأغتسل، وبعدها نحضر البيتزا للعشاء؟»

تراجعت كليم خطوة ثانية إلى الخلف، وقالت: «حسناً، سيكون ذلك عملاً لطيفاً.»

خرجت كليم من الغرفة بعد أن أخذت معطفها، وراح جو يدهن ما تبقى من الحائط وكان مسروراً لأن مخططه كان يلاقي النجاح.

انتهى جو من دهن غرفة الطعام صباح اليوم التالي وبعد العشاء، أخذت كليم تنظف الأرض، بينما بدأ جو بتنظيف النوافذ، وأعادا وضع الأثاث في الأماكن المحددة. حينئذٍ رنّ جرس البيت، نظرت كليم وهي مرتبكة إلى جو الذي قال: «دوغلاس؟ دونكان؟ مانويل؟ براد؟ دعيني أتابع...»

قالت كليم وهي تتجه لفتح الباب: «لا داعي لذلك يا جو.»

دخل جيمي وساندي إلى غرفة الطعام، وكانت السعادة تغمر ملامح جيمي الباردة... لاحظ جو الإشارات التي تظهر حب جيمي لساندي التي كانت تبدو متألقة. نظرت إلى جو،

وقالت: «لقد أتينا لنشكرك، يا جو، لأنك أعدت العلاقة بيني وبين جيمي.»

رفع جيمي يده ووضعها على كتف جو، وقال: «شكراً لك، يا جو... وأنت يا كليم يفترض بي أن أقدم لك اعتذاراً لأني لم أخبرك عن ساندي... كنت أعتقد أن كل شيء منتهٍ بيننا، ولم أكن أعرف بأني ما زلت أحبها.»

قبلت كليم جيمي من خده، وقالت: «لقد سامحتك. وإنني مسرورة لأنكما سعيدين. وأظن أننا بحاجة لأن نشرب نخب اللقاء.»

قالت ساندي: «إذا لم يكن لديكما أي مانع... نحن ندعوكما للعشاء مساء السبت.»

ارتبكت كليم وقالت: «إن شركة بول ستقيم حفلة استقبال للمدراء الجدد مساء السبت، ولقد دعاني للذهاب معه، لذا تستطيعون الذهاب من دوني.»

قال جيمي: «أبداً، ما رأيك بالسبت المقبل؟»

نظرت إلى جو، وكان يقرأ أفكارها وكأنها تتكلم. لقد كان هذا موعداً حقيقياً. فهذا ليس لإطلاق طائرة الورق، أو لمشاهدة الأمواج... أو حتى لدهن غرفة الطعام، وقالت: «إنني موافقة.»

رفع جو كأسه، وقال: «لنجازف، للحياة التي ليس لها أي منقذ.»

احمر وجه كليم. قبّل جيمي ساندي قبلة على خدها، وعرف جو بتبجحه في السيطرة على نفسه، لأنه لن يستطيع تحمل ذلك أكثر.

• • •

خرج جو مع كليم نهار السبت للتبضع، وانعطفا نحو المعرض الأرجواني في المتحف وهما في طريقهما إلى البيت. كانت ألوان الأزهار توحي بالحيوية... نظر جو إلى زهرة بيضاء، وكانت توحي له بالعاطفة وبالرغبة الحسية ولكن كليم لم تكن تشاركه بهذا المنظر.

أوصل جو كليم إلى البيت، لتجهّز نفسها للخروج مع بول إلى حفلة الاستقبال، وذهب إلى الصيدلية. وقال في نفسه: إنه، هو وكليم سوف يقيمان علاقة في القريب العاجل، وتمنى أن يكون على حق.

في تلك الليلة، ذهب جو للعشاء عند بيتر وميندي. وبعد أن نام طفلهما، شاهدوا فيلماً بعنوان اشتعال القمر الذي يتكلم عن قصة حب جميلة ذات نهاية سعيدة، وبعد ذلك، رجع إلى البيت، استلقى على سريره مع الهرة مايجور، التي أقامت في شقته. أولع جو بمايجور في الأيام الأخيرة، لكنه كان يتمنى لو أن كليم تبقى معه في المخدع وليس مايجور.

عادت كليم إلى المنزل عند الثانية والنصف بعد منتصف الليل. كان جو ما زال متيقظاً، وتوصل إلى نتيجة لنهار الجمعة المقبل، وهو أن يحصل على حجز في الفندق الصغير في تلك القرية، في غرفة واحدة ذات سرير كبير يضمه مع كليم. سيملأ الغرفة بالزهور، وسيحضر الشراب. إذا لم يستطع إقناع كليم بالذهاب إلى هناك، سيكون ومن دون شك، لا يمت إلى الرجولة بصلة. إن طلاء غرفة الطعام جميل، ولكن هو يريد أكثر من ذلك، وسيكون من الأفضل لو ذهبا خارج البيت إلى أي مكان محايد، لا هاتف ولا قطط على السرير، ولا أحد من أصدقائها يأتي لزيارتها.

قلب جو الوسادة للمرة العاشرة وأغمض عينيه. وكان على وشك النوم لو لم يسمع أصوات زجاج يتحطم.

حدق جو بالسقف، لم يكن يعرف إذا كان الصوت الذي سمعه حقيقة، أو جزءاً من حلم، وبعدها سمع صوتاً آخر، وهو احتكاك خشبتين ببعضهما... تحرك ببطء، وقام من سريره... وقال في نفسه إن تلك الحركات لا تصدر من كليم.

ارتدى سرواله وتوجه من غرفة النوم إلى المدخل، حيث سمع كليم تصرخ من الخوف، ولكن صرختها كتمت قبل أن تنهيها.

نزل جو السلم بسرعة مذهلة، وسمع شيئاً آخر يقع على الأرض، وصرخة طويلة. كان باب غرفتها مفتوحاً وحين دخل رأى سريرها خالياً، وعليه عدة قطع من الثياب، وأخرى على الأرض. أضاء النور، ورأى كليم تتصارع مع شخص آخر على السجادة وهي ترفسه وتخدشه، في حين كان ثوبها الأخضر الشاحب متمزقاً من الحاشية وحتى أعلى ساقها، وقتئذٍ رأى جو السكين في يد الشخص الآخر.

كان جو قد تعلم بعض الحركات القتالية في ميناء موزباي والقاهرة، وأخذ يستخدم كل واحدة منها، وبأقل من دقيقتين، اندفعت كليم جانباً، وكان المهاجم قد طُرح على ظهره، الرجل المهاجم كان براد.

كانت كليم تنزف من أنفها، وفي الوقت نفسه كانت ذراع جو تنزف... تجاهل جو ذلك وأخذ حزاماً من عند كليم وربط يدي براد وراء ظهره. ركع بعد قليل بالقرب من كليم ووضع ذراعيه حولها، وقال: «هل جرحك، يا كليم؟»

هزت رأسها، وهي ترتجف في حين كانت تلهث بسرعة

حاول جو تهدئتها وقال: «أظنه كسر النافذة قبل دخوله، لقد سمعت تحطم الزجاج... سأتصل بالشرطة حالاً. لا بأس، يا كليم، بما أنه لم يؤذك.»

قالت وهي ترتعش: «كنت نائمة، وفجأة رأيته بجانبي، ظننت نفسي أحلم، حينها رأيته، فكان براد وضع يده على فمي، عضضته وبعدها وقعنا على الأرض وأنا أقاومه...»

قال جو: «ووقع المصباح معكما.»

كنت أحاول الوصول إليه ولكنني اصطدمت به، ورأيت السكين في يده، مما جعلني أصرخ بأعلى صوتي... الحمد لله لأنك سمعتني يا جو.»

تحرك براد، وفتح عينيه، وقال كلمات غير مفهومة، وأخذ يعض معصمه. أجفلت كليم وابتعدت عنه.

قال جو لها: «ادخلي إلى المطبخ، واتصلي بالشرطة، سأبقى هنا معه.»

سارت كليم إلى المطبخ وهي ترتجف، وكان وجهها أبيض ناصعاً من شدة الخوف، وقالت: «سوف يتصرف بطريقة أفضل، لأنك حاربته بقوة وعزم، يا جو ماكنيل... آه، أنت مجروح.»

«إنه مجرد جرح بسيط... هيا اتصلي بالشرطة يا كليم.»

دخلت كليم المطبخ واتصلت بالشرطة... جرّ براد نفسه نحو السرير وأخذ يشتم بصوتٍ رتيب وخافت بأن جو أربكه في عقله عن قصد. وعرف جو بأن الغضب كان يغلي في عروقه، وبأنه لن ينسى خوف كليم وصراخها طوال حياته.

عادت كليم، وتجنبت النظر إلى براد وقالت: «سوف

يكونون هنا بعد دقائق... سأرتدي ثيابي، هلا أعطيتني إياها؟»

أعطاها جو سروالها وكنزتها عن السرير فدخلت إلى الحمام لترتدي ثيابها. عند وصول الشرطة كانت كليم قد ارتدت ملابسها ومشطت شعرها، ولكن وجهها بقي شاحباً. أخبرتهم بما حدث، وأدخلتهم إلى المطبخ لتريهم الزجاج المكسور المرمي على الأرض. أضاف جو ملاحظاته فيما وقعت كليم على اعترافها. واقتيد براد من الباب الأمامي إلى سيارة الشرطة.

أقفل جو الباب الداخلي، وقال: «لماذا لا تحضري لنا بعض الشوكولا الساخنة... يظهر أنه أفضل مشروب في هذه الليلة المرعبة، أليس كذلك؟ سأحضر لوحاً من الخشب وبعض المسامير وأغلق النافذة.»

وبصوت خافت قالت: «أتمنى لو تعانقني أولاً.»

اتجهت نحوه وكأنها طفلة خائفة، ضمها إليه وبعد دقيقة عرف بأنها تبكي، وكانت دموعها تسيل على صدره وقالت: «سأبقى أفكر بأصدقائك... الذين ماتوا. عرفت الليلة كيف يحصل ذلك بسرعة... عندما رأيت سكين براد، ظننت أني فعلاً سأموت.»

تصوّر جو الموقف نفسه الذي عاشه، حين أتت الشرطة وأخذت براد، وقال: «سأنام على تلك الكنبة في غرفة جلوسك بقية الليل، سأحميك لتشعري بالأمان.»

«أنا لست جبانة.»

«أنت لست جبانة على الاطلاق... فأنت لو لم تشعري بالخوف هذه الليلة لكنت غبية جداً.»

«لن أذهب إلى حفلات رقص الروك الصاخبة.»

قالت ذلك ببراءة تامة، أحاطها جو بذراعيه وقال: «نريد شراباً ساخناً، كليمينتينا.»

وبينما كانت تعد الشراب، رتب جو سرير كليم، ونظف الأرض من الزجاج، ووضع لوحاً من الخشب على النافذة، جلبت كليم الشراب ووضعته على الطاولة، وقالت: «اجلس، سأنظف الآن لك جرحك.»

«لا تتعدي على مهنة غيرك، إنه عمل دوغلاس.»

«إنني تعلمت الكثير من الاسعافات الأولية، هذا جزء من عملي في مركز الرعاية، لقد اتسخ جرحك من السجادة، لقد جاء دوري لأصدر الأوامر... والآن، توقف عن المجادلة، واهدأ.»

ضمدت كليم جرح جو بعد أن نظفته، لثمها جو وقال: «شكراً.»

عندما ارتعشت بألم مفاجيء، عرف بأنها تذكرت براد، فقال: «أنا جو، ولست براد.»

قالت: «آسفة.» ثم رشفت كليم الشوكولا من فنجانها. كان الضوء مسلطاً على خدها الأيمن، فبدا الأثر حيث صفعها براد. كان لها الحق بأن تخاف، فكر جو. هذا السبب لم يدعه يشعر بالارتياح، فشرب ما تبقى في الفنجان، وقال لها: «سآتي بالغطاء من الطابق العلوي، وأنام على الكنبة، وبذلك تستطيعين النوم بأمان.»

قامت كليم عن الطاولة، وقالت له: «أفضل أن تنام بجانبي، يا جو.»

صمت جو لعدة ثوانٍ وهو يتساءل إذا كان طلبها للنوم

معه طلباً حقيقياً، أم مجرداً من أي معنى يريده هو، وقال: «لا بأس.»

«لقد أقمت ليالي طويلة بمفردي في هذا البيت، ولم أشعر أبداً بالخوف، إلا في هذه الليلة، يا جو.»

كانت كليم تريد أن ينام بجانبها فقط ليحميها، وليس لإقامة علاقة. أخذ جو يفكر، كيف يستطيع أن ينام بجانبها في سرير واحد من دون أن يفقد سيطرته على نفسه، وقال: «سأصعد وأحضر سروالاً فضفاضاً... لأني لا أملك البيجاما.»

«آه... حسناً.»

ارتدى جو سروالاً رمادياً وبلوزة، كانت مايجور قد تركت السرير أيضاً ونامت في مكانها، عندما دخل غرفة كليم وجدها ترتدي ثوباً قطنياً طويلاً يغطي كل جسدها ما عدا وجهها، وقدميها، وكفيها، كانت تبدو وكأنها قد ندمت على دعوتها له للنوم بجانبها، وقال: «أي جانب من السرير تفضلين؟ لن آكلك، يا كليم.»

احمرّ وجهها وقالت: «هذا الجانب، إذا سمحت.»

سار جو إلى الجانب الآخر من السرير، واستلقى عليه، جعل ظهره لها، وقال: «هل أنت مرتاحة هكذا؟»

«نعم، شكراً لك.»

أطفأت كليم النور بجانب سريرها، وكان هناك مسافة بينها وبينه... أغمض جو عينيه متجاهلاً التفكير بأي شيء سوى بأن الوقت أصبح متأخراً وهو يحتاج للنوم.

بعد عدة دقائق قفزت هرة على السرير، صرخت كليم وأخذت ترتعش من الخوف: «جو... يا إلهي، إنها روزبد.»

«تعالي إليّ يا كليم.»

استلقت كليم بين ذراعي جو، قالت وهي تحتمي به: «هذا شيء مضحك، إنني مريضة عصبياً، إن القطط تنام معي كل ليلة... ما الخطب اليوم؟»

«عزيزتي كليم، إن براد لم يدخل هنا ليلعب. لا شك بأن فكرة الاغتصاب كانت في عقله. أنت تعرفين ذلك كما أعرفه أنا. لذا أنت خائفة، ولك الحق في ذلك، والآن أنا ليس لي فخر في أن أكون عضواً من الجنس الذكري ولكني سأخبرك شيئاً... طوال إقامتي في هذا البيت لن يجرؤ أحد بعد الآن على إخافتك بتاتاً.»

«ظننت أنني منذ ساعتين كنت أرفض تلك الكلمة، الاغتصاب.»

قال جو وهو يربت على شعرها: «نعم، إنها كلمة مخيفة... ألم تأخذي دروساً في الدفاع عن النفس؟»

هزت رأسها وهي على صدره، ضحك جو وقال: «نصيحتي هي عدم قبولك مجيء بول ومانويل والباقين إلى هنا، وبالمقابل تتعلمين بعض الدروس في الكاراتيه.»

«كريستين قدمت لي النصيحة نفسها من اليوم الأول الذي أتى به براد إلى مركز العناية. سأتمرن معك يا جو. وأنت سوف تعلمني عدة حركات من تلك التي استخدمتها مع براد.»

«ليست موجودة في كتاب، هل تشعرين بالهدوء؟»

«كثيراً.»

هدأت أعصاب كليم ووضعت يدها على ذراع جو

وأخذت تربت عليها بأصابعها بحركات بريئة، تذكر اكسانتيا وحركاتها ومهارتها، وقرر أنه لن يتخلى عن الاستلقاء البريء بجانب كليم مقابل أي شيء.»

استلقت كليم جيداً في السرير ونامت.

أجبر جو على عدم التحرك كي لا يوقظها واثقاً من أنه لن يستطيع النوم فيما كليم تنام بقربه. عند الصباح، سمع جو زقزقة العصافير على النافذة... كان آرمند وروزبد ينامان على السرير معهما، في حين كانت كليم تنام نوماً عميقاً. كانت إحدى يديه على خصرها.

كان من السهل عليه أن يبدأ بمغازلتها، وهو يعلم بأنها لن ترفض ذلك، بل تريده. ولكنه يريد أن يكون أول لقاء حميم بينهما بطريقة مختلفة. يريد أن تبدأ كليم بتلك المبادرة... بأن تأتي بإرادتها لترتمي بين ذراعيه. وهي تعي ما تفعله، بعد أن تكون قد تخلصت من خوفها القديم. لأنه لا يريد أن يتسلل إليها ليلاً.

بحركة حذرة سحب جو يديه عنها، وابتعد قليلاً كي لا يلامسها. كانت كليم تتفوه بكلمات غير مفهومة وهي نائمة. ولكن نفسه كانت ترفض مغادرة السرير... أخذ يراقب وجه كليم الجميل... أنفها، خديها حتى فمها الجميل...

قام جو من السرير، وهو متجهم الوجه. تثاءب آرمند وهو ينظر إليه، بينما تجاهلته روزبد وبقيت كليم نائمة... صعد جو إلى شقته، ونام في سريره مع مايجور.

الفصل السابع

استيقظ جو وأخذ يفكر بأحداث الليلة الماضية. فكر بأنه لا بد وأن تكون كليم نائمة.

وضعت القطة مايجور ثلاث قطط صغيرة... كانت تحتضن امها. وكانت مايجور قد أخذت كنزة جو الزرقاء التي تتلاءم مع لون عينيه، ووضعت صغارها عليها، مما جعل جو يضحك على ذلك المشهد الجميل.

نظر إلى ساعته، فوجدها الحادية عشرة إلا خمس دقائق. الوقت الذي يجب أن يوقظ فيه كليم. نزل إلى شقتها، فوجد الباب مفتوحاً، دخل ووقف بجانب السرير وسمع كليم تتفوه ببعض الكلمات غير المفهومة، فيما القطتان نائمتان على سريرها... أيقظ جو كليم، وقال: «صباح الخير. هل نمتِ جيداً؟»

اعادت أحداث الليلة الماضية إلى ذهنها الصدمة والخوف، وقالت: «لم أسمعك وأنت تنهض وتغادر الغرفة.»

غطت كليم جسدها حتى ذقنها، نظر جو إليها، وقال: «لم أكن أقصد أن أضايقك. حان الوقت لتنهضي، يا كليم... فلدي شيء جميل أريد أن أريك إياه.»

نظرت إليه بعينيها الواسعتين، وقالت: «هل هو شيء سخيف؟»

«لا بل هو في غرفتي.»

«هل تظنني ساذجة لدرجة خداعي؟»

«أحياناً، تكونين سهلة الانخداع.»

قالت كليم مندهشة لضحكه غير المبرر: «عمّ تتكلم، يا جو؟ اسمح لي بخمس دقائق.»

انتظر جو في المدخل، وبعد دقيقتين خرجت كليم إليه، وهي تعقد حزام مئزرها حول خصرها. كان جو مسروراً لأنها لم ترتد ثيابها، فذلك يعني أنها تثق به. فهو يريد أن يفتح موضوع ليلة الجمعة معها اليوم، صعد قبلها السلم وهو يفكر بالفندق الصغير الذي يريد أن يحجز فيه غرفة له ولكليم. وصلت إلى غرفة النوم، نظرت إلى الدرج المفتوح والقطط الموجودة فيه.

«في المرة الثانية عندما تسألك صديقتك الإحتفاظ لها بقطتها عليك أن تكتشفي كم قطة هي تعني.»

نظرت كليم إليه، وهي تستمع إلى مواء مايجور، وتنعم بالنظر فيها وفي صغارها، وقالت: «آه، جو، أليس المنظر جميلاً؟»

ركعت بالقرب من الدرج، لتنظر إلى القطط، وجلس جو بجانبها. كان وجهها يعبر عن الاندهاش لمعجزة الولادة هذه، تذكر جو كليم، وهي تحتضن روبين بمركز الرعاية. وتصورها وهي تحتضن طفلهما على صدرها. وعرف بأنه يحب هذه المرأة، أكثر من أية امرأة من قبل، وسيبقى هائماً بها روحاً وجسداً حتى آخر يوم من حياته.

شعر جو وكأن براد ضربه على رأسه. وكأنه ربح ورقة يانصيب بمليون دولار. وبأن السعادة، والمجد أصبحا يرافقانه. حتى أن ذلك الشعور لم يخلُ من الخوف.

ربما لم يكن ذلك وقتاً ملائماً، لمثل هذا الاكتشاف.

عندما نظرت كليم بعينيها الواسعتين والرماديتين إلى عينيه الزرقاوين، قالت: «هل أنت بخير؟»

«أجل، أجل، إنني بخير.» حدق جو بالقط الذي يموء في الدرج وقال: «يجب أن تسميه ماجورتي.»

قالت كليم: «أفضل لو نسميها مارجوري فهذه هي أول صغار تولد في هذا البيت منذ أن استملكته... إنها محبوبة، أليس كذلك؟»

نظر جو مباشرة إلى عينيها وقال: «عزيزة.»

احمر وجه كليم، مدت يدها نحو الدرج، وبسرعة أرجعتها. ولكن جو كان أسرع منها حين أمسكها ووضعها بين يديه، رفعها نحو شفتيه وقبلها. رفعت كليم يدها الثانية وأخذت تربت على شعره. وشعر بنعومة يدها الدافئة كأشعة الشمس. وضع يدها على وجهه، وكان يشعر بدقات قلبه تسرع في صدره.

«جو، أوه جو.»

حضن جو كليم بصدره، وضع وجهه بين كفيها، وأخذ يعانقها، فوجد مزيجاً من الخجل والعاطفة التي تظهر وهي تُمثل كليم وحاجتها إلى ذلك، فكلما عانقها أكثر كلما شعر بتعلقه بها. وقال لها: «أريد أن أقيم علاقة معك... الآن، فوراً. وإذا لم تكوني جاهزة، فلنتوقف... وسنؤجل ذلك لمرة ثانية.»

نظرت كليم إليه، ابتسمت وقالت له: «إذا كنت تريد رأيي، فأنا أظن أنه يجب أن نذهب إلى المخدع.»

لقد حاز جو على ما يريده. فشعر بالفرح يسري في

جسده كموجة في المحيط. أخذ جو يداعبها وقال: كنت أخطط لمشهدٍ من الاغراء الشديد في الفندق لليلة الجمعة هذه، أزهار، شراب، وشموع.»

«سنفعل ذلك... لأني أحب الاغراء.»

قال جو بهدوء: «آه، سوف يعجبك، يا كليم... أقسم لك على ذلك.»

أحدث السرير صوتاً، مما جعل مايجور تموُّ بصوت عالٍ.

قالت كليم: «شموع، أزهار، من دون هررة؟»

بعدها لم تتفوه كليم بكلمة لعدة دقائق، لسبب بسيط وهو أن جو كان يعانقها بقوة كحبه الكبير، وبمهارة كبيرة كان يجمعها جو في نفسه.

قال جو: «ما هذا الجمال؟»

«حقاً؟»

«أنا لست شاعراً... كنت أريد الاعتماد على شكسبير للمشهد الاغرائي الكبير... لكنك أجمل مما كنت أتصور.»

حكّت كليم أنفها، وقالت: «أوه. كنت دائماً أشعر بأنه من المضحك أن أكون واحدة من تلك النساء الضعيفات الصغيرات ذوات العيون الزرقاء.»

قال جو: «إنهن يبعثن فيّ الخوف، إنني أحبك تماماً كما أنت.» أخذ جو يداعب كليم، وراحا يتحدثان ويضحكان، لأنهما كانا يعبران عن عواطفهما، ولأن كليم لديها فكرة بسيطة عما سيحصل.

كان جو يفكر بخجل كليم الذي يجعلها بريئة، لكن كان لديها الجرأة لتفعل ما يريد دون تردد، لقد كانت تحب كل ما يفعله، ولم تكن خائفة من إظهار ذلك. ضمها جو بقوة وكان

يريد إخبارها بأن كل ذلك هو من جراء حبه لها، وأن هذه التجربة هي الوحيدة التي جعلته يشعر بها لأنه فعلاً يحبها. كانت الكلمات فوق شفتيه، وهي الحقيقة. الكلمات التي كان يجب أن تُقال لهذه المرأة، ولكنه لم يتفوه بكلمة وقال: «كليم... هل أنت بخير؟»

قالت وهي متعبة: «لم أكن أتوقع أن الحب مستبد بهذا الشكل... وغير قابل للمقاومة. وقوي لدرجة غير معقولة.»

وضع جو يده حول خصرها، وقرّبها نحوه، حتى أن نَفَسَها كان يداعب خده: «كلما أعطيت أكثر، كلما تلقيت أكثر، يا كليم. فلقد كنت سخية في عطائك.»

وضعت كليم اصبعها على أنف جو، وقالت: «وأنت كنت مخلصاً للغاية. لديك نقاط حالكة صغيرة في عينيك، وشعرك ناعم للغاية... لم أكن أعلم من قبل ما هو الرجل، يا جو، ولكني الآن فهمت.»

قال: «وفي أي وقت تريدين، إنني جاهز.»

تلاشت الضحكة من وجه كليم، وقالت: «عليك أن تعطيني خمس دقائق لأستعيد نشاطي، ولكني أعتقد بأنك كنت أيضاً سخياً في عطائك، ولهذا كنت تراقبني في كل حركة. شكراً لك، يا جو.»

لم يخبرها جو بأنه يحبها، لكنه عانقها بكل ما تحمل تلك الكلمة من معنى. حينها سألها: «هل تعطيني موعداً للذهاب إلى الفندق، مساء الجمعة؟»

«أجل، إذا سمحت. وأرجو أن لا تنسى الشموع، والشراب.»

«أو الزهور... فأنت تحبين أن تظهري بشكل مُغرٍ، كليمينتينا.»

ضحكت كليم وكذلك جو بصوت مرتفع، ووضعت يدها على صدره، وأغمضت عينيها بعد أن أظهرت رضاها عليه. وبعد عدة دقائق استغرقت كليم بالنوم، استلقى جو بجانبها، يتساءل مندهشاً لو أن أحداً يموت من الفرح.

لا بد أن جو قد نام بدوره، لأنه استيقظ مجفلاً بعد أن سمع مايجور تموء بصوت مرتفع. جلست كليم وقالت: «إن مايجور جائعة... فمن الأفضل أن نقوم ونطعمها.»

قال جو: «على كلٍ، فهي تأكل عنها وعن صغارها الثلاثة.»

نظرت إليه، واحمر وجهها حين قالت: «إن ثوبي بجانبك.»

حاول جو أن يلتقط قماشاً عن الأرض وقال: «أنت لست مضحكة.»

وبصوتٍ لم يسمع برقته من قبل، قالت: «إن لديك جسداً جميلاً، يا جو.»

كان جو يفكر بأنها تريد أن تعبر له عن سعادتها.

سألت كليم جو، وهي تنظر إلى الجلد الخشن الموجود على صدره، وقالت: «ما هذه العلامات الموجودة على صدرك؟»

ناولها ثوبها، وقال: «آه، عندما وجدني رجال العصابة مع الجثث، حصل شيء من المشاجرة بيننا... هجمت عليهم معتقداً بأنهم مجرد شخصين، لكني فوجئت حين وجدت عددهم حوالى اثني عشر شخصاً.»

«كان من الممكن أن تقتل؟»

«في تلك اللحظة، لم أكن أهتم لموتي أو بقائي.»

كادت الدموع تسيل من عينيها، وقالت: «لو حصل ذلك لما كنت التقيت بك مجدداً، ولما كنت أتيت إلى هذا البيت بتاتاً. إنني سعيدة لعودتك، يا جو. هل ترى منذ كان عمري عشر سنوات، كنت أشعر بأنه سيكون بيننا عمل لن ينتهي أبداً، أنا وأنت... لأني كنت أريدك أن لا تبتعد عني أبداً... وكنت أنتظر دائماً عودتك إليّ. عندما رأيت اسمك على الطلب في الشهر الماضي، وعرفت من تكون كانت صدمة مروعة لي، لم تجعلني أشعر بالراحة.»

«لكنك لا تشعرين بذلك الآن.»

ابتسمت كليم، وقالت: «لقد وضعنا، بالتأكيد، جسراً فوق الفجوة التي كانت بيننا، أليس كذلك؟»

لم تخبره عن حبها له، ولكنها حتماً لا تكن له العداء. ضمها جو إليه، وقال: «من الأفضل أن ترتدي ثوبك، وإلا ستموت الهررة من شدة الجوع.»

ارتدت كليم ثوبها، وخرجت من الغرفة حافية القدمين، ودخل جو إلى المطبخ، ليرى ما يعدُ للفطور.

كان جو يعد شرائح الفطر مع الفلفل عندما انضمت إليه كليم بعد عدة دقائق. نظر إليها مبتسماً وقال: «ربما ضايقتك بأفعالي الغرامية، ولكن سأظهر لك أني لست كسولا في المطبخ أبداً. إن هذا الطعام هو آخر ما تبقى لدي في البراد... وسأحضر معه عُجة البيض.»

قالت كليم وهي ترفع أحد حاجبيها: «مجازفة، هي الكلمة التي قلتها أنت، كما أظن؟»

كان جو يحمل الفلفل الأحمر في إحدى يديه، والسكين في الثانية، وقال: «هل أنت فعلاً بخير، يا كليم؟»

«أجل إنني بخير.»

حضن جو كليم، وقال لها: «إنني أشعر بالروعة!»

كانت قطع العجة كبيرة، تناولا فطورهما، وتركا الصحون في المغسلة ونزلا إلى الحديقة ليجمعا العشب. ولأن جو كان مسروراً فقد رأى زهرة الزنبق القرمزية تبرق تحت أشعة الشمس، وكانت زقزقة العصافير تملأ المكان. كانا يجمعان أوراق الأشجار اليابسة عن الأرض. وينظران إلى البراعم الجديدة التي تُزهر... فقد كان جو مسروراً لدرجة أنه كان يغني بأعلى صوته، ولا يفكر بشيء سوى ببقائه الوادع مع كليم.

بينما كانت تساعده في تنظيف الحديقة، قالت: «لم أرك سعيداً بهذا الشكل من قبل؟»

«هذا لأني لم أكن أشعر بالسعادة.»

جلست كليم على الأرض، وقالت: «كل ما فعلنا هو إقامة علاقة، يا جو.»

«لكن بالنسبة إليّ. أحسست وكأن الأرض أصبحت ملكاً لي.»

«نعم. ولكن...»

قاطعها جو، بعد أن شعر بخوف مفاجيء من أن تضيع منه هذه السعادة، وقال: «لا أريد جدالاً أو شرحاً طويلاً، دعينا نتقبله كما هو ونشعر بأننا سعيدين لما حصل بيننا.»

قالت كليم دون أن تنظر إليه: «حسناً، لا بأس.»

غيّر جو الموضوع، وقال: «يجب أن تجلبي بعض الرماد من المدفأة، هلا فعلت ذلك؟»

فعلت كليم ما يريد، وبعد أن تخلصا من جميع الأوساخ في الحديقة. صعدا إلى المطبخ وشربا الشاي الذي أعدته كليم، وقالت: «يجب أن أغتسل، فالوحل وصل إلى ركبتي.»

اقترب جو منها وعانقها، أكثر مما كانت تتمنى.

على الرغم من سعادته، شعر جو بوخز مفاجيء في راحته، فهي لم تقل له حتى الآن بأنها تحبه، وكان تفكيره يأخذه إلى أبعد من ذلك. وتصوره بأن كليم ستقيم علاقة مع غيره، جعله يشعر بالغيرة. حينها رنّ جرس الهاتف في المطبخ، وقفت كليم، وقالت: «أظن أنها أمي، فهي دائماً تتصل نهار الأحد... فمن الأفضل أن أردّ أنا عليها.»

نام جو على ظهره، وهو يستمع إلى كلامها غير المفهوم من المطبخ، متمنياً لو أن عدم راحته يتلاشى بسرعة. فهو يريد أن يعطيها الوقت الكافي لتعتاد على حياتها الجديدة قبل أن يبوح لها بحبه، ويطلبها للزواج، فكل شيء في وقته حسن.

وضع جو يديه تحت رأسه، محدقاً بالسقف، وراح يفكر... أتزوجها... فهو ليس متأكداً متى يحين الوقت ويصدر قراره بأنها هي التي ستشاركه حياته... ولكنه وحسب أحاسيسه فإن حبها يجري في دمه، مما يؤكد اقتناعه بها كزوجة، قال جو في نفسه: إن كل شيء سيكون في وقته، فلا تستعجلها يا جو...

بعد عدة دقائق، عادت كليم إلى الغرفة. وكانت عيناها تلمعان، وقالت: «لقد كانت أمي، ستأتي إلى هنا لزيارتي.»

«متى؟»

تنهدت كليم، وقالت: «لقد سألتها السؤال نفسه، لكنها تكره أن تحدد اليوم والساعة... تريد أن تقوم بزيارة مفاجئة. لكني لا أظنها ستأتي قبل الأسبوع المقبل، لأن لديها بعض الأعمال التي تريد الانتهاء منها قبل مجيئها.»

زاد قلق جو، إن آرابيللا تؤثر في آرائها على كليم، حتى لو كان ذلك من مكان بعيد، وعلى الهاتف. تُرى ما الذي ستفعله حين تأتي إلى هنا؟ وقال: «هل عرفت إن كانت قد سمعت شيئاً عن والدي؟»

«لم أسألها.»

«لكنك أخبرتها بأني أسكن عندك هنا في البيت؟»

قالت كليم: «سوف تكتشف ذلك عند مجيئها.»

من سيىء إلى أسوأ. قال جو: «حسناً، سيكون منظراً جميلاً لو فتحت لها الباب بنفسي.»

ابتسمت كليم، وقالت وهي تبحث عن شيء ترتديه من الخزانة: «حقاً؟»

قال جو: «كليم، تعالي إلى هنا.»

«إنني مشغولة.»

قال جو، بشدة: «لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يُرام... فأنا لن أختفي لمجرد مجيء أمك إلى هنا، ولن أضمك إلى صدري عندما تكون هنا مع أنني أريد ذلك.»

قالت كليم بتهذيب: «سوف أتغير حين تكون هنا، لذا لم ادعها إلى هنا حتى الآن.»

«إذا كانت تعيش بمفردها طيلة الأربع سنوات الماضية، فلا بد أن تكون قد تغيرت.»

«ربما.»

قال جو، وهو يريد أن لا يقلقها بكلامه: «لم لا آخذك للعشاء خارجاً الليلة؟ وهناك سوف تخبرينني لِمَ تريدين تغيير تصرفاتك معي بوجود والدتك؟»

قالت كليم بتوتر: «كانت دائماً هي التي تنهي زواجها! فهي عندما تتزوج من أحدهم، يظهر الآخر... تراه مناسباً... فتترك الأول من أجل الثاني... وهكذا دواليك.»

«إذن، إن الرجال الأربعة الذين تزوجوا منها، كانوا مخلصين لها؟»

«حسناً، ليس بالتحديد... إن أبي وأباك كانا مخلصين لكن آندي كان له علاقة مع سكرتيرته... وإيريك لم يعرف كيف يكون مخلصاً... ولكن وفي كل حالة كانت أمي هي التي تطلب الطلاق.»

«هل اعترضت يوماً على ذلك؟ أو قلت لها ما هو شعورك؟»

قالت كليم باختصار: «طبعاً لم أفاتحها بالموضوع... لأني لا أريد أن أجرح شعورها.»

«وبالمقابل تريدين أن تعيشي باقي حياتك عذراء، دون زواج.»

صاحت كليم في وجهه، وقالت: «أنت حتماً اهتممت بذلك.»

قال جو وهو يحاول أن لا يبوح لها بكامل خطته حول الوضع الاجتماعي: «بتعاونك التام. هل نحن نتقاتل، يا كليم؟»

«هذا ما يحصل عندما أتكلم عن أمي، أصبح خائفة متوترة.»

«أنا لم أختبىء، ولن أختبىء بجانب السرير... هل تحبين الطعام الصيني؟»

ابتسمت كليم، وأجابت: «أحبه... ولكن...»

قال جو: «سأتصل بهم لأحصل على حجزٍ في المطعم الصيني، وارتدي ثيابي وآتي إليك بعد نصف ساعة.»

كانت عيناها لا تبرحان طول جسده، وقالت: «أنصحك بالذهاب إلى غرفتك لترتدي ثيابك.»

«وإذا لم أفعل ذلك، سنبقى هنا طيلة النهار.»

ابتسمت كليم، ونظرت إليه، حين قالت: «إن لديك عقلاً محدوداً، يا جو... فهناك رغبات بحاجة إلى الإشباع. وإقامة العلاقات الحميمة تجعلك تجوع. وتجعلك أيضاً غير رومانسي، بل واقعياً.»

تكلم جو مع كليم في المطعم الصيني في مواضيع كثيرة، إلا موضوع آرابيللا. سارا في الطريق، وكان قلق جو قد تبدّد. حين وصلا إلى البيت وصعدا السلم، قال جو: «هل تريدين النوم في مخدعي الليلة، أم في مخدعك؟»

فتحت كليم الباب بالمفتاح، ونظرت إليه، وقالت: «لن ننتقل إلى غرفة واحدة.»

«لم أقترح ذلك، بل أن نقضي الليل سوية.»

قالت وهي تمدُّ يديها: «آه... حسناً، هل تختار أن تكون مع مايجور أم روزبد وآرمند؟»

قال جو وهو يريد أن يُظهر نفسه وكأنه صاحب البيت: «روزبد.»

نام جو تلك الليلة في مخدع كليم، وفي صباح اليوم التالي أوصلها إلى عملها. وراح يفكر بالعمل الذي يريد أن

يجده لنفسه، لأنه يعرف بأنه سيبقى في هاليفاكس ولن يعود إلى شركة البترول التي كان يعمل بها. وكان يفكر بأن يصبح مرشداً شرعياً في المجموعات البيئوية. لقد تركت له والدته ثروة كافية حين توفيت، فهو ليس بحاجة لمعاشٍ كبير، ولديه في المصرف مبلغ كبير، كان قد جمعه حين عمل في شركة البترول.

اتصل جو بقسم الشرطة، فوجد أن براد قد أُستدعي إلى المحكمة في ذلك الصباح. وبعد ذلك اتصل بالفندق الصغير الموجود على الشاطىء الجنوبي ليحجز غرفة ليقضي بها ليلة الجمعة مع كليم. وبعد الظهر ذهب إلى بائع الورود ليوصيه على الورود لمساء الجمعة... وذهب إلى عمل كليم ليوصلها إلى البيت.

قبّل جو كليم من خدها أمام جميع الموظفين قبل أن يخرجا. وعند أول إشارة مرور وضعت كليم يدها على يده، ونظرت إليه نظرة فاتنة، وقالت: «لقد فكرت بك طيلة النهار، لدرجة أنني لم أستطع التركيز في عملي.»

اقترب منها وعانقها، مما جعل السائق في السيارة خلفهما يطلق البوق بقوة، لأن إشارة المرور قد أضاءت باللون الأخضر. ارتعبت كليم، وأعادت يدها إلى حُجرها، وقالت: «كيف حال مايجور وصغارها؟»

«إنه... إنها... بخير... لقد نقلت صغارها من الدرج إلى السلة في الخزانة... وأخذت الكنزة التي كانت ترقد عليها إلى المصبغة.»

تكلم جو وكليم في مواضيع كثيرة طيلة الطريق إلى أن وصلا إلى البيت. أغلق جو الباب، وقال: «تعالي إليّ، كليم.»

سارت كليم نحوه، ورمت بنفسها في حضنه، عانقها وكأنهما قد افترقا منذ أسبوع لا منذ تسع ساعات فقط. وقعت حقيبتها من ذراعها أرضاً، وبعدها رفع معطفها عن ذراعيها... شدها نحوه، وراح يتفوه باسمها وهو يعانقها بحرارة. أمسكت كليم بيده، وسارت به نحو غرفتها وكان دمه يشتعل من شدة حبه لها.

حين وصلت إلى غرفتها، توقفت صامتة، وصاحت: «جو، آه جو.»

لقد اشترى جو كل الورود الحمراء الموجودة في المخازن الثلاثة التي زارها وفرشها فوق السرير في غرفة كليم. استدارت كليم لتنظر إليه ودموعها تسيل على خديها، وقالت: «إن هذا أجمل شيء يمكن أن تقوم به، يا جو.»

حضنها من جديد، متمنياً لو يستطيع تحقيق كل ما تطلبه، كان يريد أن يراها سعيدة، وكان يخاف من غضبها لوقاحته. لكنه مع هذا كله لا يريد أن يرى دموعها، وقال: «لم أقصد إبكاءك، يا كليم.»

«أنا لا أبكي لأنني حزينة... بل لأنني متأثرة بذلك.. لقد اعتقدت بأنني بدأت أعرفك وبعدها كل ما تقوم به يدهشني.»

تغلل وجه كليم في صدر جو، وقالت: «لا أريد أن أنام فوق تلك الزهور التي تفرش بها سريري... فأنا لا أريد أن أسحقها... على كلٍ لا بد من وجود شوك عليها. علينا أن نصعد إلى غرفتك.»

الفصل الثامن

نامت كليم ليلة الاثنين في مخدع جو، وفي صباح اليوم التالي نزلت إلى شقتها وراحت تضع الزهور في الأصص. وفي ليلة الثلاثاء نام جو في مخدع كليم، يرافقهما آرمند، بدا استياء روزبد جلياً لأن جو احتل قسماً كبيراً من السرير لذلك جلست على حافة النافذة وراحت تحدق إليه. لم يكن جو يعي استياء روزبد، لأنه سعيد.

كان نهار الأحد مفعماً بالسعادة، وراح يفكر بما جرى ليلة السبت. أظهرت كليم حبها للعلاقة معه من خلال عاطفتها الجياشة التي كبتتها لعدة سنوات. على الرغم من أن سعادته كانت متعلقة بحياته الحسية، كانت أيضاً موجودة في معرفته الأكيدة لحبه لها. ففي كل يوم يمر، كانت كليم تُظهر ثقة أكثر به.

اعطها الوقت الكافي. لقد أصبح ذلك تعويذته. كان على صواب في انتظارها، وفي الاحتفاظ بحبه لنفسه الآن. فالوقت آتٍ لا محال وسيشاركها حبه، فهو على يقين بأن ذلك سيحدث... ولكن ليس الآن.

عندما أوصلها نهار الأربعاء إلى العمل، قال لها: «استعدي للخروج عند الساعة الخامسة والربع؟»

ترددت كليم في الإجابة، وقالت: «لا داعي لتأتي وتأخذني اليوم. فلدي مهمتان يجب أن أتمهما، لذا

سأعود في الحافلة. إن دوغلاس سيأتي للعشاء، لقد أنهى امتحاناته، ولكنه ما زال لديه البحث ليطبعه على الآلة الكاتبة... وقد وعدته بتصحيح اخطائه الطباعية.»

شعر جو وكأن أحداً عضّه في معدته... أمسك بذراعها وهو يفكر بأن دوغلاس لا يشكل خطراً بالنسبة له وقال: «انتظري... يجب أن تدعيني للعشاء معكما، وبعد ذلك ساترككما لتصحيح أخطائه الطباعية.»

نظرت كليم من النافذة لترى الشارع المليء بالأوساخ من جراء الرياح الهوجاء، وقالت: «إذا أتيت للعشاء معنا... سيظن دوغلاس بأننا حبيبان... فأنا أعرف نواياه جيداً، فهو ذكي للغاية.»

«وماذا في ذلك؟»

أعادت النظر إليه من جديد، وقالت: «لا أريده أن يعرف شيئاً!»

«هل تخجلين مني، يا كليم؟»

«لا تكن سخيفاً، طبعاً لا. ولكن الموضوع خاص، فما نقوم به... لا شأن لأحد به.»

«سنخرج مع ساندي وجيمي نهار السبت.»

«إنهما منشغلان ببعضهما بعضاً، ولا أظنهما سيلاحظان ذلك.»

لم يكن جو متأكداً من ذلك. وقال بهدوء: «أتمنى لو تتيحين لي الفرصة لأتعرف على أصدقائك، يا كليم، فأنا أعرف بأنهم مهمون بالنسبة إليك.»

«إنني على موعد مع مانويل غداً مساءً، يا جو.»

«تستطيعين إلغاءه.»

«وبماذا أبرر له ذلك؟ آه، عفواً مانويل، فقد أصبحت على علاقة مع المستأجر الجديد لدي... لذا لن أستطيع الخروج معك؟»

ظهرت علامات الغضب على وجه جو، وقال: «أخبريه بأنك التقيت بشخص مهم بالنسبة إليك، ولهذا لن تستطيعي الخروج إلا مع شخص واحد.»

«لم أفعل ذلك قط... لقد كنت أخرج مع أكثر من صديق في وقت واحد.»

«يا للعنة، نحن حبيبان، يا كليم! إنني آخذ الموضوع بجدية مطلقة، حتى لو لم تكوني أنت كذلك.»

«طبعاً أنا آخذه بجدية أيضاً، فأنا لم أقم علاقة غرامية مع أي شخص من قبل، وهذا شيء جديد بالنسبة لي، إنني آخذه بموضوعية تامة. ولكن ذلك لا يعني أن أتخلى عن باقي حياتي.»

«إذن، ماذا يعني ذلك؟»

أمسك جو بيد كليم، وشدّ عليها بقوة، وقالت: «إنك تؤلمني.»

أرخى يده، وهو يعلم أنه حين يغضب يستخدم طاقته دون وعي وقال: «آسف... اسمعي يا كليم، لن ندع ذلك يخرج عن طاعتنا.» كان جو بحاجة إلى صبر وجلدٍ كبيرين، كانت كل الفضائل تتلاشى من أمامه حين يفكر بأن كليم توعد أحد الرجال للخروج معه، وقال: «أفهم من ذلك، بأن لديك بعض الإرتباطات قبل نهار الأحد تريدين أن تحتفظي بها... الموعد مع مانويل، مثلاً. أنا لا أحبذ ذلك، ولكن سوف أجبر نفسي على تحمل الأمر. لكنني لا أريد أن أكون مجرد شاب

تقيمين علاقة معه عندما يحلو لك الأمر، أما باقي الأسبوع فتخرجين مع أصدقائك كما تشائين.»

«آه، أنت لا تريد ذلك؟»

«لا، لا أريد ذلك، فإذا كنا فعلاً حبيبين، يجب عليك أن لا تتواعدي مع أي شخص آخر. وهذا يتضمن مانويل. كل شيء أو لا شيء، يا كليم. لأنني لا أريد أن أجلس كل ليلة متسائلاً...»

قاطعته كليم وقالت: «ها هي لويس، يجب عليّ أن أذهب.»

بقي جو ممسكاً بمعصمها. كان الغضب والاحباط ظاهرين على وجهه: «لن تتخلصي من هذا الموضوع بسهولة... سنتابع الكلام به بعد أن يذهب دوغلاس مساءً.»

وضع جو يده على ذقنها متجاهلاً غضبها، وعانقها بشدة، وقال: «يجب عليك أن تتوقفي عن الجري في أحد الأيام، عاجلاً أم آجلاً.»

«أنت لا تمتلكني، يا جو!»

أخذ جو يمرر اصبعه على شفتها الناعمة، وقال: «أنا الرجل الذي أمسك بجسدك بين ذراعيه طوال الليل... ولن أذهب من هنا، يا كليم. فكري بذلك جيداً. تمتعي بنهارك... ولا تنسي أن تخبئي الزهور قبل مجيء دوغلاس، هلاّ فعلت؟»

نظرت إليه نظرة غاضبة، ونزلت من السيارة، أغلقت الباب بقوة، ومشت على الرصيف... فتابع جو سيره.

ذهب إلى البيت، ارتدى ملابس الرياضة، وركض حوالى أربعة أميال، محاولاً التخفيف من غضبه، متمنياً لو تعامله كليم بطريقة أفضل من تلك، فهي يجب أن لا تواعد أي شخص

آخر. كان ألمه شديداً مما جعله يشعر بالخوف. وكان هذا هو الجانب القاتم من حبه.

في الوقت الذي أخذ فيه جو يمدد عضلاته في مواجهة المنزل بدأ غضبه يزول، وبدأ العقل يحل محل العاطفة. إن ما يريد معالجته الآن هو خوفها من الإرتباط. فهي كانت تبحث دائماً عن الأمان وسط كل هذا العدد من الرجال، والآن يريدها أن تغير تلك، لتكرّس نفسها له وحده.

كان ذلك الصراع الأساسي في داخلها، صراعاً كان يأمل في تجنبه لأكثر من ثلاثة أيام.

كان يجب عليك أن تحتفظ بفمك مقفلاً وأن لا تتكلم عن دوغلاس ومانويل فأنت من بدأ بالمشاجرة، وليست هي.

طبعاً، هل أستطيع أن أقف على الباب ألوح لها بيدي مودعاً فيما هي تتواعد مع كل رجال هاليفاكس؟

تغار يا جو ؟

للأسف إنني أغار عليها كثيراً.

هذا ما كان نهاية الحوار بين جو ونفسه. دخل المنزل، واغتسل وتوجه نحو المكتبة، بعد أن أخذ يدوّن لائحة بأسماء كتب المجموعات البيئوية المتنوعة. لقد تناول غداءه وعشاءه خارج البيت، وعند الساعة العاشرة عاد أدراجه إلى البيت. كانت سيارة دوغلاس القديمة متوقفة في الشارع.

كان جو يعي تماماً ما الذي سيفعله. صعد السلّم وهو يصفّر ويقول: «انظر، إن البطل القهار قد أتى.» ثم نادى باسم كليم، ولم ينتظر منها الجواب، سار في غرفة جلوسها. كان دوغلاس مستلقياً على الكنبة، وهو يقرأ في

كتابه. أما كليم فقد كانت تمسك قلماً في يدها وهي تقرأ في كومة من الأوراق المطبوعة على الآلة الكاتبة، قال جو بلباقة: «مرحباً، دوغلاس هنا... لقد سمعت أن الامتحانات قد انتهت، وبذلك تكون قد ارتحت.»

اتجه نحو كليم، وقال: «مرحباً، حبيبتي، أراك وكأنك مُجدة في دراستك.»

فتحت كليم فمها لتجاوبه فما كان منه إلا أن عانقها دون تردد، وقال: «هل من مانع أن أتناول بعض العصير، حبيبتي؟ لقد ركضت كثيراً اليوم.»

كانت الاستنتاجات واضحة: كان معها في البيت بجسدها، وكان في البيت في مطبخها. لا كليم ولا دوغلاس كانا عديمي الفهم.

نظرت كليم إليه وقالت: «اعد ذلك بنفسك، بالمناسبة، لقد اتصلت بك امرأة تدعى اكسانتيا منذ ساعة تقريباً. ولقد انزعجت كثيراً لأنها لم تجدك في البيت.»

«ليس لدي أي شيء أقوله لاكسانتيا، هل تريدين القهوة، حبيبتي؟ دوغلاس، هل أجلب لك شيئاً لتشربه؟»

جلس دوغلاس وأغلق كتابه، وكان يشعر بألم في البنكرياس، وضع يده على رأسه وقال وهو يضحك: «كليم إنك حصان قاتم... لِمَ لم تخبريني عنك وعن جو؟»

قالت كليم ببرود: «ليس هناك من شيء لأخبرك عنه.»

«إذن لماذا توجد كل هذه الزهور الحمراء في تلك الغرفة الإضافية؟ فهي تبدو وكأنها محل لبيع الأزهار، أو حتى مقاماً جنائزياً.»

«دوغلاس، إن باب الغرفة الإضافية كان مغلقاً!»

«أنت مخطئة... لقد أخبرتك منذ قليل بأن هناك أشياء كثيرة في هذا البيت بحاجة إلى وضعها بأماكنها الصحيحة. وعشر دزينات من الورد في هذه الغرفة هو شيء غير جليّ، لقد لاحظت ذلك عندما دخلت إلى الحمام...» ونظر دوغلاس إلى جو مبتسماً وقال: «تهاني الحارة إليكما! أجمل خبر أسمعه منذ وقت بعيد، كنت أتوقع أن يظهر الرجل الملائم لكليم عاجلاً أم آجلاً... أنت تعلم أنه يوجد الكثير من الشبان الجيدين في هاليفاكس وسوف يحسدونك لأنك استطعت الوصول إلى التي لم يستطيعوا الوصول إليها، أليس كذلك؟»

كانت الكلمات تسقط على كليم وكأنها قطع من الثلج. وقالت: «سوف أقدر سكوتك وعدم شرحك لهذا، وكأني لم أكن...»

قال دوغلاس: «ماذا دهاك يا كليم، إنك تعيشين بمفردك منذ سنوات، وحان لك أن تستقري. أنا سعيد لأجلك، هذا كل ما في الموضوع. إنني لست مستعجلاً على الورقة التي بين يديك، تستطيعين أن تنهيها لاحقاً، وسآتي لآخذها بعد يومين، قبل نهاية الأسبوع. سأمر على المطعم لأشرب فنجاناً من القهوة، جو... فهناك ثلاثة شبان ينتظرونني.»

سار دوغلاس نحو كليم، وقال لها: «حقاً، إنني سعيد جداً لأجلك، يا كليم. لا مجال للجري مع أصدقائك بعد اليوم. وأنت جميلة جداً ونشيطة لتعيشي حياتك.» قبّل دوغلاس كليم من خديها، ونظر إلى جو بعد أن ابتسم إليه، وقال: «سأخرج من هنا.»

سمع جو صوت الباب الذي أغلقه دوغلاس، وقال:

«سيصبح طبيباً ناجحاً، قولي ذلك، يا كليم، قبل أن تنفجري.»

أجهشت كليم بالبكاء... اقترب جو منها وضمها بين ذراعيه، وهو يربت على شعرها، فقالت: «لقد أخفتني حتى الموت. لقد تجاوزتني وكأنك مدحلة ثقيلة، حتى أني لم أعرف أين كنت، كل شيء انقلب رأساً على عقب.»

انتظر جو حتى انتهاء تنهدات كليم، وضع ذقنه فوق شعرها، وراح يتنشق رائحة الشامبو التي تفوح منه، وقال: «لا أريد الاعتذار عما صدر مني، ولا أريد أن أعدك بأني لن أفعل ذلك مرة ثانية خاصة مساء الغد.»

«لا تضغط عليّ كثيراً، يا جو.»

قال فيما عيناه مثبتتان فوق عينيها: «سوف أفعل ذلك وبكل ما لدي من قوة.»

مسح جو آخر دمعة انسالت على وجه كليم، وقالت: «إنها معركة الإرادات، وربما الشخص الأفضل هو الذي سيفوز.»

قال جو: «أريد أن نفوز نحن الاثنان، هذا ما أنا أقاتل من أجله، فإذا خسرتك، فهذا يعني أنني لست الرابح، وأنا متكبر بما يكفي لأقول لك بأنك أفضل حالاً في وجودي منك في غيابي.»

هزت كليم برأسها، وقالت: «لديك لكل سؤال جواب، لكن هل لك أن تجيبني عن هذا السؤال؟»

دفعت كليم بنفسها في حضنه، وضعت صدرها على صدره، وأحاطت رقبته بذراعيها، وراحت تعانقه بحرارة، جعلته يتجاوب معها. تساءل إذا كان سيعرفها يوماً، أو سيكون قادراً على أن يتوقع ما قد يكون تصرفها التالي،

فكليم حبيبته المتمردة ستسمح له بالانقياد إلى دوامة لم يشعر بمثلها من قبل. وآخر فكرة منتظمة تتعلق باستعماله كلمة السماح... هل كان يسمح لنفسه بذلك؟ أو هل له الحق في أن يختار ما يريد فعله؟

استفاق جو في اليوم الثاني وهو في مخدع كليم على صوت المياه في الحمام، كانت كليم تستحم، بينما كان جو ينظر إلى آرمند الجالس بين قدميه، وروزبد جالسة على وسادة كليم وتنظر إليه ببرود.

على الرغم من أن جو نام كالميت، فقد كان لديه إحساس بأنه كان في حلم طيلة الليلة الماضية... وراح يفكر بها.

لقد حقق ما كان يريد تحقيقه في الليلة الماضية، مع أن دوغلاس كان عندها، فقد أمضى الليلة في مخدعها. ولكن هل أن العلاقة الغرامية هذه هي تعبير عن حبهما؟ أو هل هي مجرد تمديد لمعركة الإرادات، صراع القوى الذي كان يمتزج بالغضب.

توقف صوت المياه، وسمع صوت وقع قدميها الناعمتين في المدخل. لم يجد أي إجابة عن أسئلته، وكان واعياً فقط لشعور داخلي من التنافر والانفعال، الذي لم يكن يريد أن تشاركه به. وضع وجهه في الوسادة وأغمض عينيه.

كانت كليم ترتدي ثيابها على مهل كي لا توقظه. سمع جو خروجها من الغرفة نحو المطبخ، وأخذت تعد طعام الفطور، وبعد ذلك سمعها وهي تنظف أسنانها بالفرشاة، وخرجت وأغلقت الباب وراءها.

لم تكن كليم تريد إزعاجه، حتى أنها لم تعانقه لتودعه

ظناً منها أنه ما زال نائماً. قام عن السرير وراح يرتبه محاولاً عدم إزعاج الهرتين.

تناول جو العشاء تلك الليلة مع منسقي المجموعات البيئوية في تلك المنطقة. كان من بين المنسقين امرأة في الستين من عمرها، كانت فاتنة وجذابة على الرغم من سنها، وراحت تعده بتسليمه بعض الأعمال المهمة... ترك جو ذاك الاجتماع عند التاسعة والنصف.

عندما عاد إلى البيت، لم تكن سيارة مانويل السوداء متوقفة، وتردد جو في الصعود إلى البيت. لقد كان اجتماعه مع شارلوت ميلبي... المنسقة البيئوية... قد حاز على تفكيره تلك الليلة، لكن القلق الذي انتابه منذ الصباح كان لا يزال يرافقه... وراح يفكر بأن مانويل ليس كدوغلاس، فهو سمسار بورصة ناجح ووسيم وسيكون فخراً لأية امرأة يخرج معها.

إنه من دون شك ضليع بالعلاقات الحسية كما هو ضليع وبارع في عمله. إن هذه هي نظرته إلى مانويل.

لكن كليم تعرف مانويل منذ أكثر من ستة أشهر، وهي لم تقم علاقة معه، فإذن لماذا يشعر بهذا القلق؟

لقد كان يشعر بالقلق، لأن كليم في الأيام الأخيرة فقدت خوفها من العلاقات الحسية. لهذا فمن الممكن أن تلقي بنفسها في أحضان مانويل...

دعك من ذلك، يا جو، إن هذه المرأة هي كليم، كليم المستقيمة. إنها آخر امرأة تفكر بأن تهرب منك إلى رجل آخر خلال يوم واحد.

أعطها الوقت الكافي لتحبك أكثر.

عندما تعود الليلة إلى البيت أعلن لها عن حبك، وعن رغبتك في الزواج منها.

أخذ جو يفرك جبهته، متسائلاً هل أن الحب متعبٌ وصعبٌ إلى هذا الحد؟ لطالما افترض أنه سيجد المرأة المناسبة وأنها ستكون هي مبتهجة، لذلك أنّب نفسه، يا لك من غبي! لقد وجدت المرأة المناسبة، حسناً. ولكن أن يقنعها بأنه هو الرجل المناسب، تلك كانت مسألة أخرى.

لديه مساء الغد... المخدع الملكي في الفندق الجميل، مع الشموع والزهور والشراب... لكن كل ذلك سيكون دون روزبد.

تنهد جو بشدة، ونزل من السيارة، ودخل البيت. عندما وصل إلى المدخل وهو يحمل معطفه، خرجت كليم من غرفة الجلوس.

قال جو، وهو يشعر بالسرور لأنها في البيت وحدها: «أراكِ في البيت في هذا الوقت الباكر!»

«لقد اتصل بي مانويل، وأخبرني أنه مُصاب بالزكام، لذا طلب تأجيل الموعد إلى الأسبوع المقبل.»

لم تكن كليم مع مانويل؛ ولكنها لم تستغل الفرصة لتقطع علاقتها به.

كان بإمكانها أن تقوم بذلك بكل سهولة.

علق جو معطفه فوق المشجب بعناية من دون أن ينظر إليها. ووجد نفسه يتمنى من صميم قلبه لو أنه لم يقرأ الإعلان الذي نشر في الصحيفة، وأنه لم يحضر إلى هذ البيت أو يتعرف إلى هذه المرأة التي تقف على بعد عشر

أقدام منه. قالت كليم وقد وصل الصوت إلى أذنيه شبيهاً بالهمس: «إن ذلك ليس شيئاً مهماً، يا جو... فلا داعي لأن تنظر إليّ بهذه الطريقة.»

إذا لم يكن ذلك شيئاً مهماً، إذن لِمَ تفعلينه؟ شعر وكأن موجة من الوهن تنتابه، كما شعر بازدياد في خفقان قلبه وضعفٍ في ركبتيه، كل تلك العوارض التي كاد أن ينساها وقال: «افعلي ما يحلو لك يا كليم. تصبحين على خير.»

«لا أدري لماذا تفتعل كل تلك المشاجرة، فأنا لم أفكر البتة في إقامة علاقة معه.»

شعر جو ببرودة في عروقه وقال: «انضجي يا كليم... إن المراهقين هم الذين يتواعدون مع أشخاص عديدين كل ليلة من الأسبوع... إن المرأة حين تصبح في الثامنة والعشرين من عمرها تعرف معنى الوعد... فأنا لم أقم علاقة معك لمجرد أني مقيم في بيتك... لقد قمت بذلك لأنك تعنين شيئاً خاصاً لي ولأني أهتم بك.»

«لم أطلب منك الاهتمام بي!»

قال جو والكره يشع من عينيه: «أنا لست فقط للاستخدام، في المخدع أو خارجه... هل تسمعين ذلك؟»

«إن الطريقة التي تصرخ بها، تجعلني أعتقد بأن مانويل يسمعك.»

قال جو وهو يتنهد محاولاً تخفيف غضبه: «أنت تعلمين أن ذلك سخرية... إن الرجال هم أولئك الذين دائماً يتهمون بتحررهم من التفكير بالشعور عندما يقيمون علاقة... ولكن إذا لم تريدي أن تجعلي لشعوري قيمة فعلى كل واحد أن

ينام في غرفته، وهذا ما سنفعله إلى أن تقرري ما يجب أن تفعليه.»

ومن شدة غضبه صعد جو السلم درجتين درجتين، أغلق الباب وراءه، جلس على السرير، ووضع رأسه بين ركبتيه محاولاً أن يتخلص من ذلك الدوار.

فهو لم يصب بمثل هذا الدوار منذ أسبوعين، لقد أراد تجاهل كل شيء عن المرض تماماً كما حاول أن يتجاهل ألم قلبه وخوفه من أن تستمر كليم في التواعد مع مانويل. استلقى في سريره، وراح يقرأ كتاباً، إلى أن استغرق في النوم، ولم يستيقظ إلا عند الساعة الثالثة صباحاً، وراح يبحث عن كليم بجانبه.

لم تكن بجانبه بل كانت تبعد عدة أمتار عنه.

عند السادسة صباحاً توقف عن الإدعاء بأنه نائم، ولبس ثياب الرياضية وخرج للركض. كان الضباب الآتي من المحيط الأطلسي قد لف كل شيء من حوله وأخذ يلفح وجهه ويسبب بعض النقط على بيجامته المصنوعة من النايلون. وفيما هو يركض عادت تلك الأفكار السوداء إلى عقله. إنه يحب كليم، ويريد الخروج معها الليلة. ولكن مع كل تلك الظروف كان متأكداً من أنه لن يستطيع فعل ذلك.

عاد عند السابعة إلى البيت، وبينما كان ينزع ثيابه المبتلة، سمع كليم تقول بصوتٍ خافت: «ألم تنم هذه الليلة أنت أيضاً؟»

أخذ جو ينتزع ثيابه ببطء، ونظر إليها من أعلى رأسها وحتى قدميها، وقال: «كليم، أنت بحاجة إلى مئزر جديد.»

إن مئزرها الأزرق، كان مربوطاً على وسطها، وكانت

هناك خطوط زرقاء تحت عينيها فسألته: «هل ما زلت على وعدك في الخروج الليلة؟»

«هل تريدين ذلك؟»

كانت كليم تكلمه وهي تتجنب النظر إليه، بينما كان يفكر كم كان غاضباً منها الليلة الماضية... وتذكر تلك الفتاة الجريئة التي كانت تبلغ العاشرة من عمرها، والتي رفضت البكاء حين كان يخبرها عن علاقة والدتها مع والده، واشتعل قلبه حباً لها، وبعد ذلك قال: «لكن ماذا بالنسبة لمانويل؟»

«امنحني بعض الوقت.» لقد استعملت كليم الكلمة التي تشكل ضعفه. لا بد وأنه غبي جداً، فهو حتماً يحفر قبره بيده... ولكن كيف له أن يرفضها فيما هي تسأله الشيء الذي طالما حاول أن يمنحه لها. فقال لها: «إذا كنت تريدين الذهاب إلى هناك، سوف نفعل.»

«هذا أكثر مما أستحقه، يا جو.»

«حسناً، سآتي لآخذك من عملك عند الساعة الخامسة...»

نظرت إليه وابتسمت حين قالت: «عندما تعانقني وتقول صباح الخير... أصبح مستعدة للذهاب إلى العمل.»

لم تكن كليم غبية، فقد استمعت إلى بعض التحفظات من خلال كلامه وقال: «إذا كنت تريدين عناقي، يجب عليك أن تغلقي أنفك، لقد ركضت خمسة أميال هذا الصباح.»

تقدمت إلى أحضانه وعانقته، وبينما هو يعانقها قال: «إنك المرأة التي تبعد فقط خمسة أمتار، وجعلتني لا أنام هذه الليلة من شدة شوقي وحنيني إليك.»

ابتعدت كليم عنه وبدت الحيرة تغلف وجهها فيما هي

تقول: «عندما أكون معك، أشعر ببساطة كل شيء! نحن نشعر بالارتياح حين نكون سوية وحين أبعد عنك أشعر بالخوف والحيرة.»

قال جو بشدة: «إنك ما زلت تعيشين حياة والدتك، يا كليم... يجب عليك أن تتعلمي كيف تعيشين حياتك الخاصة، لأنك لست لها... بل أصبحت تملكين نفسك.»

«إنك تحلل الحالات النفسية جيداً، يا جو.»

«إن هذه هي الحقيقة.»

قالت كليم بهدوء: «أرجوك يا جو، لا أريد المزيد من المشاجرة.»

أضاف جو، وهو يغير لهجته في الكلام معها: «ما زلت تفكرين بذلك. لا بأس، اذهبي لتستحمي... ولكن لا تنسي أن تُبقي لي القليل من المياه الساخنة.»

وبعد ثلاثة أرباع الساعة، أوصل جو كليم إلى عملها.

الفصل التاسع

عاد جو إلى البيت، وفي أولى ساعات الصباح كان يغرق في المجموعة الأدبية التي أعطته إياها شارلوت ميلبي. لقد وجد أن تأسيس عمله الجديد كان مثيراً بالنسبة إليه. وكان يريد أن يبعث لبيتر بتوصية لإنهاء الأعمال المادية.

فقد كان منغمساً في تعقيدات المحكمة ضد شركة حرجية... في ذلك الوقت سمع صوت سيارة تتوقف في الخارج، وتوقع أن يسمع طرقة الباب، ولكن بدلاً من ذلك سمع وقع أقدام على السلم، ثم باب البيت وهو ينفتح، ثم سمع صوتاً لرجلٍ وامرأة.

قام جو عن الكرسي بسرعة، وأطل من النافذة ليرى ما يحصل. هل كليم مريضة؟ ولكن لو كانت كذلك لاتصلت به. ترك الغرفة إلى الطابق السُفلي.

كانت المرأة تقف مع ثلاث حقائب، التفتت إليه حين شعرت بحضوره، ثم رفعت ذقنها، المنظر الذي لا ينساه أبداً، وقالت: «من أنت؟»

كانت عيناها زرقاوين، أما شعرها فقد كان أسود اللون متجعداً، ومع أنها كانت متوسطة في السن، إلا أنها كانت تقوم بحركات تدل على إظهار ها لجمالها حين كانت شابة... ما زالت جميلة حتى الآن، ولكن ليس كما يذكرها.

قال جو، وهو ينزل آخر درجات السلم: «هل حقاً لم تعرفي من أنا؟»

المجوهرات تلمع على صدرها وفي يديها، وهي تقف أمامه وجهاً لوجه فيما الشمس تشع على وجهه وقالت: «إنك جو... ابن غراهام!»

«وأنتِ آرابيللا.»

«ماذا تفعل هنا؟ أين كليم؟»

«أنا...»

تقدمت آرابيللا ثلاث درجات نحوه، وهي تنظر إليه بحدة: «ماذا فعلت بها؟»

قال جو: «إنها في عملها. ماذا تظنينني قد فعلت بها؟»

«هل تعيش معها؟»

«لا!»

كانت آرابيللا تنظر إليه غير مصدقة ما يقول لها: «عندما كانت في التاسعة من عمرها، كانت تظن أن الشمس تسطع وتغيب فيك. وإذا كنت لا تعيش معها، ماذا تفعل هنا، إذن؟»

قال جو، وهو مُعجب بالطريقة التي تكلمه بها مدافعة عن ابنتها: «إنك امرأة مستقيمة، يا آرابيللا ديلاني، كليم ولسوء الحظ لم تعد تشعر بأن الشمس تسطع وتغيب من خلالي... فأنا مستأجر الطابق العلوي، ولا أعيش معها هنا.»

قالت بدهشة: «لسوء الحظ؟»

قال جو بهدوء: «هل أقلعت من تورونتو هذا الصباح؟ لا بد أنك متعبة... دعيني أضع حقائبك في الغرفة الإضافية وأحضر لك فنجاناً من القهوة... لقد مضت سنوات على لقائنا، أليس كذلك؟»

كانت عينا آرابيللا الزرقاوان تحملقان بجو، وهي معجبة بأسلوبه اللبق. «لقد كبرت وأصبحت رجلاً وسيماً، يا

جو... وأكثر من وسيم... لأن لديك القوة أيضاً، وبعض التجارب الصعبة، وهل تذكر حين رأيتك لآخر مرة؟ كان لديك شعر أحمر داكن.»

ابتسم جو وقال: «إنني مسرور لأنك تعتقدين بأنني تحسنت.»

«لا تحاول اصطياد الإطراء، هل أنت تخبرني بأنك تحب كليم؟»

«هل تريدين القهوة، يا آرابيللا... أظنك لا تمانعين في أن أناديك باسمك؟»

«أفكر بأن أبدل اسمي إلى ما كان عليه قبل زواجي لأول مرة. فأنا لا أشعر بأنني السيدة ديلاني بعد الآن. أو سيدة تحمل اسم أي شخص آخر... لذا آرابيللا هو الاسم الكافي بالنسبة إليّ. والقهوة ستكون أيضاً كافية لاستقبالي.»

أخذ جو حقائب آرابيللا إلى الغرفة الإضافية، وسُرّ عند رؤيته لأصيصين فقط في تلك الغرفة. ثم ذهب إلى المطبخ ليحضر لها كوباً من القهوة.

انضمت إليه آرابيللا بعد عدة دقائق وسمحت له بأن يسحب الكرسي لتجلس عليه. بما أن جو قرر متابعة المناقشة، قال: «ما هي آخر أخبار والدي؟»

قالت آرابيللا وهي مرتبكة: «لم يخبرني أنك تقطن هنا مع كليم في البيت نفسه، حتى كليم لم تخبرني بذلك، هل أنت تحبها؟»

«هل تريدين رؤية والدي؟»

بينما كان جو يسكب الحليب في الكوبين، قالت آرابيللا:

«سؤالان لا نريد الإجابة عنهما... هل هذا ما تريد أن تقوله؟ إننا عدوان قديمان... أنت وأنا.»

«لقد كنا كذلك منذ خمسة عشر أو حتى ستة عشر عاماً، ولا أريد أن أكون عدوك الآن، آرابيللا.»

«إنه فقط تضييع وقت وطاقة، أليس كذلك؟ إن أباك رجل طيب وهو أفضل مني... كنت حينها في الثلاثين من عمري، في ريعان شبابي، وكنت مغرورة بجمالي إلى حد أنني أردت أن ألفت نظر جميع الرجال إليّ.»

«هو يريد رؤيتك من جديد، أنا أعرف ذلك.»

كانت أصابعها ترتجف وهي تضعها على الطاولة وقالت: «كنت جميلة، يا جو. الآن أصبح عمري أكثر من خمسين عاماً، وها أنا أتقدم بالسن بخطوات رشيقة وسأصبح عجوزاً... رشيقة... يا لها من كلمة سخيفة في الظروف الحالية!»

قال جو بصدق: «إنك تبدين رائعة بالنسبة إليّ.»

«الرجال لديهم هذا الميل البائس ليتذكروا كل تلك السنوات التي مضت. هل تظن أنني أريد رؤية النظرات في عيني غراهام، عندما يرى أثر خمس عشرة سنة؟ لا، شكراً لك!»

كان الخوف يظهر على وجهها، حينها حاول جو تبسيط الموضوع: «إن أبي يبلغ من العمر الثانية والستين، وهو لا يبدو كشاب في الثلاثين من عمره، إن ما يريده هو رؤيتك، أنت كما أنت.»

«لا أستطيع، أكره أن أكبر أكثر من هذا. لقد طلب مني أن أرسل له صورة، ولا أريد أن أفعل ذلك أبداً.»

«لم اسألها بعد.» قال جو: «إن كليم تخاف الزواج، كما تخافين أنت الشيخوخة، إنكما ثنائي حسن.»

«إذن، هل رفضت طلبك؟»

«لم أسألها بعد.» قال جو ذلك وهو يسكب القهوة لها، جلس بعيداً عنها وهو يفكر بأن مناقشة هذا الموضوع كم تبدو غير محببة مع المرأة التي كرهها بشدة حين كان مراهقاً.

«هل تحبها، يا جو؟»

«نعم.»

كانت نظرتها حادة، ربما لم تكن تتوقع منه الإجابة، وقالت: «أنت وهي كنتما عدوين قديمين، أيضاً. عندما أخبرتها عما كان يجري بيني وبين والدك، كرهتك بمقدار ما كانت قد أحبتك.»

تردد في الكلام، وقال: «ليست هذه المشكلة، آرابيللا إنني لا أستطيع إيجاد الطريقة المناسبة لأقولها... كليم، ولسبب زواجك أربع مرات... أصبح لديها عقدة مما جعلها ترفض مجرد التفكير بشيء اسمه زواج... فهي لا تريد حتى أن تخرج مع شخص واحد!»

كان الألم يظهر في صوته، قاطعته آرابيللا وقالت: «لكني على الرغم من ذلك، كنت دائماً أحبها.»

«ليست هذه هي القضية. لقد ترعرعت كليم وسط التغيير. لذا استملكت بيتاً لتعيش فيه بمفردها طيلة حياتها، وهي تواعد رجالاً متعددين، وتظن أن لا أحد منهم يستطيع تعليقها به. وطبعاً هذا يتضمنني أيضاً.»

«وهذا ما تكرهه أنت.»

«هذا صحيح.»

أضافت آرابيللا الحليب إلى قهوتها، وقالت بصوت خافت: «لقد تغيرت... إنني أعيش الآن بمفردي منذ أربع سنوات، ومع أنني كرهت ذلك في البداية، وظننت بأنني قد أموت من الوحدة، فأنا قد اعتدت على هذه الحياة الآن... ولهذا، لا أريد لكليم أن تعيش بقية حياتها وحيدة.» رشفت قليلاً من القهوة وأضافت: «الرجل الذي يستطيع تحضير فنجان قهوة لذيذ بهذا الشكل... يجب على كليم أن تتزوج منه. وأنت تعرف يا جو، إن جزءاً من الشيخوخة الجميلة يكمن في وجود الأحفاد.»

كانت تنظر إليه، بعينين أهدابهما تشبهان تماماً أهداب كليم، قال جو: «إن أبي يريد أن يرى أحفاده، أيضاً، فأبي وأنا مقتنعان تماماً بأنه سوف يجدك رائعة وناضجة في الوقت نفسه.»

قالت آرابيللا وهي متأثرة: «لن أمنحه هذه الفرصة ثانية. متى تعود كليم من عملها؟ إنني أفكر بأن أذهب إلى السوق لأتبضع بعض الحاجيات، وسأمر عليها عند الغداء.»

كان جو يريد الذهاب إلى كليم كي يذهبا للعشاء في الفندق، حاول إخفاء غضبه الذي كان يظهر على وجهه بسبب قدوم والدتها، وقال: «إن كليم تتناول غداءها عند الظهر، وتنتهي من عملها عند الخامسة، أو أكثر بقليل.»

أضافت آرابيللا: «أريد أن أدعوكما إلى العشاء، هل يمكنني ذلك؟»

«طبعاً، ستكون دعوة لطيفة منك.»

بعد نصف ساعة استأجرت آرابيللا سيارة أجرة، بعدما

رفضت عرض جو بتوصليها. صعد جو الطابق العلوي واتصل بمركز العناية بالطفل. أجابت كليم على الهاتف، وقال: «كليم؟ جو معك على الهاتف. إن والدتك في طريقها إليك، فهي تريد أن تأخذك للغداء معها.»

«أمي ؟ إنها هنا؟»

«فهي تريد أن تأخذنا نحن الاثنين للعشاء معها هذه الليلة.»

«لم أعتقد أنها ستأتي لزيارتي في هذه العجلة...»

قال جو: «سأتصل بالفندق لألغي الحجز...»

«آه، لقد نسيت. طبعاً يجب عليك أن تفعل ذلك.»

كان جو يتمنى لو يرى وجهها وهي تكلمه عن بعد مليون ميل، بهذا الصوت العالي، وسأل: «كم تبقى هنا عادة؟»

«أسبوعاً أو ربما عشرة أيام.»

تفوه جو بالكلمات تماماً كما كانت تدور في ذهنه: «نحن لن نستطيع أن نقيم علاقات غرامية طيلة وجودها هنا.»

«أظن أننا لن نستطيع ذلك.»

«كليم، ألا تهتمين للأمر؟»

«كنت تعرف أنها ستأتي للزيارة، يا جو.»

«لقد أملت في أن تكون هذه الأمسية لنا.»

«حسناً، لن نستطيع ذلك. أنا لا أستطيع أن أكلمك بهذا الموضوع الآن، إن كريستين قد ذهبت إلى طبيب الأسنان، ولهذا فأنا أحلُ مكانها مما يجعلني مشغولة جداً... آراك مساءً.»

بقي جو يمسك بسماعة الهاتف، وهي تعطي رنيناً متقطعاً. ثم اتصل بالفندق ليلغي الحجز. كانت الساعة

الحادية عشرة والنصف، والسابعة والنصف في توقيت بريطانيا، طلب جو رقم هاتف والده... عندما رنّ جرس الهاتف للمرة الثالثة، رفع والده السماعة، وقال: «مرحباً؟»

«أبي، أنا جو. هل عندك خطط لمساء الغد؟»

«لا، ليس لدي أي شيء، لماذا؟»

«إن آرابيللا قد وصلت إلى هنا اليوم صباحاً.»

صمت غراهام عدة ثوان، وسأله: «هل قالت بأنها تريد رؤيتي؟»

«هي لم تقل ذلك بالضبط. لكني مدعو مع كليم للعشاء غداً مساءً وبالتأكيد ستأتي مع آرابيللا... وستكون كالحرس علينا.»

«هي لا تعرف بأنك تتصل بي الآن؟»

«لا.»

«إنني أحتفظ برسالتين منها... وهي تبدو دائماً مسرورة عندما اتصل بها وعندما اقترحت عليها أن نلتقي كادت أن تصاب بانهيار.»

على الرغم من معرفة جو للسبب، إلا أنه لم يخبر والده عنه، وقال: «عليك أن تستخدم ذريعة لذلك، وهي مجيئك لرؤيتي.»

«هل تريد جرح ذكائها؟ سأحجز اليوم إذا وجدت تذاكر سفر، وسأتصل بك لاحقاً... هل تستطيع أن تحجز لي غرفة في أي فندق؟ وبالمناسبة كيف تسير أمورك مع كليم؟»

قال جو: «لا تشغل بالك بالأحفاد.» وحوّل الكلام إلى الحديث عن الفندق المناسب.

بعد ربع ساعة اتصل غراهام بجو ليخبره عن مجيئه، وقال جو له بأنه حجز له في الفندق وأعطاه عنوانه.

في صباح يوم السبت، وبوجود آرابيللا، انضم جو إليهما ليشرب القهوة في الحديقة. كانت الطيور تغرد، وكانت رائحة الزهور تفوح من حولهم. وناقشت كليم هذه الأمور بالصوت الهش نفسه الذي تحدثت به طيلة الأمسية الماضية، ذلك الصوت الذي جعل آرابيللا تلتزم الصمت. كان جو متأكداً من أن آرابيللا لم تحدث كليم عن وحدتها أو خوفها.

شخصية كليم الجديدة هذه لم تعجب جو فهي الآن تختلف عما تكون عليه عندما تكون معه. ووسط الصمت الذي أحاطهم، قال جو: «في المناسبة، إن أبي موجود هنا في المدينة... لقد اتصل بي منذ نصف ساعة، مما جعلني أقترح عليه مشاركتنا في العشاء الليلة.»

كانت كليم وأمها تحدقان به، كانت نظرات آرابيللا تُظهر خوفها، أما نظرات كليم فكانت تدلُ على شكها بهذا الموضوع، قالت آرابيللا: «هل عرف بوجودي هنا؟»

قال جو بصدق: «إنه متلهف لرؤيتك ثانية.»

قالت كليم بحدة: «لقد دبرت كل ذلك، يا جو.»

قال جو: «إنها المرة الأولى التي تنظرين فيها إلى عيني منذ جلوسنا هنا.»

لم تكن كليم فقط تحدق بعينيه بل كانت تبدو وكأنها تريد القتال. فقالت آرابيللا بوهن: «يجب أن أهتم بأظافري... وماذا أرتدي؟ عزيزتي، هل تأتين معي إلى السوق بعد

الظهر؟ لقد رأيت فستاناً جميلاً جداً البارحة، وأريد رأيك لتخبريني إذا كان مناسباً لي.»

«أمّاه، لقد كنت زوجةً لغراهام لمدة سنتين... فيجب عليك أن لا تضطربي هكذا.»

أجابتها آرابيللا: «كان يجب عليّ أن لا أتركه أبداً... لقد كانت تلك أكبر غلطة اقترفتها في حياتي، فقد كان غراهام أفضل زوج لي.»

قالت كليم وهي تحدث صريراً في أسنانها: «إذن، هل تفكرين بالزواج منه للمرة الثانية؟»

وضعت آرابيللا كوبها على الطاولة، وكانت يداها ترتجفان: «كليم، أنا آسفة لأني تزوجت أربع مرات، وآسفة لأن حياتك لم تكن مستقرة ولكني أحاول أن أتعلم من خلال أخطائي، وهذا ما يفعله كل إنسان.»

«إنني أقدم اعتذاري لك يا امّاه، كان يجب أن لا أقول ذلك، فهذا الموضوع لا يخصني، وعليك أن تفعلي ما تريدينه.»

بعد ساعة ذهبت آرابيللا لترتدي ثيابها للخروج إلى السوق، وضعت كليم الأكواب في الصينية، وقالت: «إنك تلعب بالطريقة التي تريد، يا جو، أليس كذلك؟»

وقف جو، وقال: «لقد حصل ذلك... ولكن أظن أن الأمر يستحق المخاطرة.»

وضعت الكوب بقوة جعلت الحليب يسيل: «سوف تؤذي نفسها مجدداً!»

«إن والدي لم يتوقف عن حبها، يا كليم.»

«ليس لك الحق في أن تجمعهما هنا في بيتي.»

أخذ جو الصينية من يدها، ووضعها على الطاولة،

أمسكها من يدها وشدّها نحو أزهار الزنبق، وقال: «لم تكوني عادلة معها، يا كليم. أنا لا أنكر أنها كانت امرأة أنانية أفسدت حياتك، وأعرف لماذا كنت غاضبة حين تكلمت معها. لكنها عاشت بمفردها لمدة أربع سنوات، وأظن أنه كان لديها الكثير من الوقت للتفكير. فأنت ما زلت ترينها كما كانت... ولكنها قد تغيرت كثيراً، ويجب أن تأخذي ذلك بعين الاعتبار.»

«إذا تزوجت أمي من أبيك، فذاك يعني بأننا سنرتبط أنا وأنت إلى الأبد!»

كانت كليم ترتدي ثوباً قطنياً، مما جعل جو يشعر بدفء ونعومة جسدها، وقال بعد أن عانقها: «إننا مرتبطان، على كل حال.»

قاومت كليم جو بقوة، مدّ يديه إلى خصرها، وضمها بقوة، وقال لها: «أريدك لي، يا كليم، إذا بقيت أمك هنا عشرة أيام، سأجن.»

تلاشى كل غضبها، وضعت أصابعها بين شعره، وعانقته، فقال جو: «إنني سعيد بك يا كليم.»

«آه، جو... حين أتيت إلى هنا منذ شهر تقريباً، لم أكن أفكر بشيء نحوك، كنت أخرج مع أصحابي، الذين كانوا يعنون كل شيء بالنسبة إليّ، والآن كل شيء تغير لديّ وكأن هزة أرضية قد حدثت.»

قال جو: «يجب عليك التحدث بصراحة إلى والدتك، عاجلاً أم آجلاً، يا كليم، ولن يكون هناك أي اختلاف، فما يجب أن يُقال لن يتغير إن قيل اليوم أو بعد أسبوع أو بعد شهر. إنها تريد أحفاداً أيضاً.»

«أيضاً؟»

قال جو قبل أن تعلق على ذلك: «هذا مايريده أبي... هل تحبين أن يكون لديك طفل، يا كليم؟ طبعاً طفل مني؟»

«إنه سؤال مجنون!»

«تذكري الطريقة التي كنا نعيشها منذ الأحد الماضي، أنا لا أظن أنك تعتبرين ذلك جنوناً.»

«إنه سؤال لا يمكنني الإجابة عنه... هل تستطيع حمل الصينية؟»

لم تقل له كليم بأنها لا تريد ذلك. ولكنها أيضاً لم تقل نعم. حمل جو الصينية وتبعها إلى الداخل.

ذهب جو عند الساعة السادسة والربع إلى الفندق ليرى والده. كان غراهام ينتظره في قاعة الانتظار ويبدو أنيقاً في بدلته الجديدة، حتى أنه جهز باقة من الورد، سُر جو لرؤيته لتلك الزهور الصفراء. تعانق مع والده، قال غراهام: «كيف يبدو شكلي؟»

«عظيم، إن آرابيللا متوترة بسبب هذا الموضوع أيضاً، يا أبي.»

«لا أتصور بأنها متوترة كما أنا متوتر... أشعر وكأنني مراهق في أول لقاء له. ولكن كيف عرفت بتوترها لهذا الموضوع؟»

«لقد اشترت ثوباً جديداً، وغيرت لون أظافرها مرتين.»

«أما أنا يا جو، فقد اشتريت بدلة جديدة، وربطة عنق جديدة، وعندما حلقت ذقني، وقع موسى الحلاقة من يدي وتحطم، هيا بنا...»

قاد جو السيارة إلى بيت كليم، صعد أبوه أمامه ولحق به، فتحت كليم الباب وخرجت من غرفة الجلوس وهي ترتدي ذلك الثوب الأسود الذي اشترته بعشرة دولارات، وكانت ترفع شعرها بطريقة جذابة، انقبض قلب جو عند رؤيته لها ككل مرة. لكنها لم تنظر إليه على الاطلاق، وقالت: «مرحباً، غراهام.»

أعطى غراهام باقة الورد إلى جو، سلّم على كليم وقبلها من خديها وقال بدفء: «مرحباً يا كليم، كم هو حسن أن أراك بعد كل هذه السنوات.»

دخلت آرابيللا، وهي ترتدي ثوباً حريرياً أزرق، وقالت: «مساء الخير، غراهام.»

«آرابيللا... لو رأيتك خارجاً، بالتأكيد لما عرفتك.»

أمسك غراهام بيد آرابيللا وعانقها، وقالت: «إنك ولا شك تبالغ في قولك هذا... فأنا امرأة في الخمسين من عمرها.»

مدّ غراهام يده على خديها، ولمسهما وقال: «نحن الاثنين تقدمنا في السن، ولكن ذلك شيئاً طبيعياً... وما زلت أجمل امرأة رأيتها في حياتي.»

امتلأت عينا آرابيللا بالدموع، وقالت: «شكراً لك، فأنا سعيدة جداً لرؤيتك، يا غراهام.»

قال جو وهو يحمل الزهور: «لقد نسيت هذه، يا أبي.»

سالت دموع آرابيللا، وأخذت تتنشق عبير تلك الزهور الجميلة. قالت كليم: «إنني لا أملك الأصص يا امّاه، ولكن سأجد لك واحدة.» وذهبت إلى المطبخ. وجه جو ملاحظة حول أحواض الزهر في حديقة منزل كليم، وتساءل بنوع

من الدهشة إذا كان غراهام سوف يتقدم لطلب يد آرابيللا في تلك الليلة وتمنى فقط لو أن كليم تشاركه ذلك الشعور في الدهشة والفرح.

لكن كليم لم تكن حزينة أبداً في المساء: كانت تتكلم وتضحك، وتذكرهم بأشياء كانت قد حصلت منذ زمن بعيد، وحاولت في الوقت نفسه تأمين الراحة لآرابيللا وغراهام. جو فقط، كان يعرفها جيداً، فقد لاحظ أن كليم أسرفت في تناول الشراب، وعلى الرغم من سروره للطريقة التي كانت تتصرف بها، لأنه عرف عمق الصراع في داخلها، كان يشعر بأن هنالك مسافة بينهما. ساندي وجيمي كانا متألقين في سعادتهما؛ آرابيللا وغراهام يحدقان في عيني بعضهما بعضاً. بطريقة أثرت بجو؛ لكن كليم كانت تجلس في الطرف البعيد من الطاولة. وراح جو يتساءل لو أنه يضم كليم بين ذراعيه فعندئذٍ سيكون كل شيء على ما يرام. لكنهما بالطبع لا يستطيعان ذلك.

لم يكن لدى جو الفرصة حتى ليتكلم معها تلك الليلة. وفي اليوم الثاني وهو يوم عطلة كليم... اتفق الجميع على الخروج إلى الشاطىء الجنوبي. كان شاطئاً جميلاً في لوننبرغ، وكانوا قد زاروه سابقاً قبل زواج غراهام من آرابيللا بفترة قصيرة.

انتزعت آرابيللا حذاءها وكانت تنورتها تطير من شدة الرياح، كانت تبدو سعيدة، وكأنها شابة صغيرة، وبدا غراهام أيضاً مسروراً. قال جو لكليم: «لقد أتينا إلى هنا من قبل، هل تذكرين ذلك؟»

أجابت كليم بصوت متقطع: «بالتأكيد أذكر ذلك. قبل شهر

من زواجهما... كانت محاولة مزيفة نتظاهر بها وكأننا عائلة سعيدة... كم كرهتك في ذلك اليوم!»

«إنهما لا يفكران بالماضي. اهدئي، كليم.»

«كيف أستطيع؟ لقد رأيت كل ذلك سابقاً، وأنا الآن أعرف ماذا سيحصل لهما، ستتزوجه... وسينتهي الزواج من جديد، وندور في الحلقة نفسها مرة ثانية.»

قال جو مقاطعاً: «عليك أن تعطيها فرصة لتغير مجرى حياتها، يا كليم، هذا كل ما يجب عليك أن تفعليه.»

كانت الرمال قد دخلت حذاء كليم، جلست أرضاً محاولة تنظيفه من الرمال. جلس جو بجانبها، وراح يفكر بوالده الذي اختار المكان المناسب ليعالج الجروح القديمة مع آرابيللا، وتمنى لو يؤثر ذلك العلاج على ابنة آرابيللا.

في اليوم التالي اتفق غراهام وآرابيللا على الخروج سوية، وبينما كانت تضع اللمسات الأخيرة على وجهها، قال غراهام: «لا تنتظرانا، يا جو، فنحن وبالتأكيد سنتأخر في الخارج.»

سُر جو لذلك، وقال: «حسناً.»

تذكر جو بأن كليم كانت قد ذكرت في اليوم الماضي أنها ستأتي إلى البيت باكراً هذا المساء، وبذلك يستطيع تمضية عدة ساعات معها. كان لديه ثلاثة مواعيد في ذاك النهار، اثنان مع مستشاري الشركات التي يعمل معها، والثالث مع المحاسب المسؤول هناك. وصل جو إلى مركز العناية فوجد الباب مغلقاً، والمكان مظلماً. قال في عقله: لا بد أن كليم ذهبت بالحافلة.

كان جو يعرف أن البيت مليء بالورود، لذا عرّج على الفرن واشترى قطعتين من كعكة الشوكولا المفضلة لديها قبل ذهابه إلى البيت. وصل إلى البيت ولم يجد كليم بداخله، انتزع ثيابه واغتسل، وبعد ذلك ارتدى قميصاً تركه مفتوحاً على صدره، ونزل إلى المطبخ ليعد الشاي.

عند الساعة السابعة شعر جو بالجوع والغضب في الوقت نفسه. فقد كان واضحاً أن كليم لم تأتِ إلى البيت لتتناول العشاء. هل يمكن أن يكون قد اتصل بها مانويل؟ أو ستيورت؟ بول؟ وهل يهم أي واحد منهم؟ إنها لم تأتِ بعد إلى البيت، ولكن أظن أن السبب ليس لاتصال أحدٍ بها، بل لوجودي، فهي لا تريد أن تلتقي بي بمفردها.

حضّر جو البيتزا، أكل حتى التخمة، واحتسى الشراب. وكانت النتيجة مشكلته في عسر الهضم، والغيرة التي كانت تملأ صدره. ولكن كان قد اكتشف، عاطفة جديدة، جعلته يشعر بالخوف اليائس. ما هو الشيء الإيجابي في مطاردة كليم؟

إنها ترفض أن تقيد نفسها برجل واحد، فقد أعطت موعداً لمانويل مساء الخميس، وهي الآن خارجة للمرة الثانية. إنه، مجنون لاعتقاده بأنها تستطيع تغيير مسار حياتها من أجله. ولكن هي لا تقصد فعل ذلك.

وبسبب استيائه احتسى جو المزيد من الشراب. وراح يدور حول البيت، لأنه لم يستطع الجلوس فيه. كان الظلام يلف الشارع والحديقة.

مع من ستكون قد خرجت؟ لماذا لا ترى كيف أن آرابيللا تغيرت؟ ولماذا هو يهتم هكذا، وكأن حيةً أخذت تلسعه

وتدمره؟ وبينما كان يجلس في غرفة الجلوس المظلمة، غير قادر على تركيز تفكيره على شيء معين، كان استياؤه قد تحول إلى قلق حاد.

قالت كليم بأنها ستأتي إلى البيت باكراً، وعلى الرغم من كل أخطائها فهي ليست خائنة. لذلك لا بد أن شيئاً ما قد حصل.

إن براد قد أطلق سراحه اليوم بكفالة مالية.

الفصل العاشر

اقشعر شعر جو مما جعله يدفع الكرسي جانباً. بينما يجلس هنا تقتله الغيرة والقلق، وقد تكون كليم في خطر. تأذت. إغتُصبت... تلك الكلمة جعلته يجفل.

دخل المطبخ، وأخذ المفاتيح الإضافية الموجودة هناك وخرج مسرعاً. في تمام الساعة الثامنة كان أمام مركز العناية بالطفل. الحدس هو ما جعله يأتي إلى هنا، المنطق أخبره بأن يبدأ بالبحث عنها من هناك. وإذا لم يجدها، سيذهب إلى مركز الشرطة ليسأل عن مكان وجود براد.

الباب الخارجي الذي يفترض به أن يكون مقفلاً كان مغلقاً فقط، وعندما أدار المزلاج برم بسهولة في يده، فتوترت أعصابه. أغلق الباب وراءه وراح ينصت لعله يسمع صوتاً...

لكن المكان كان خالياً ولم يسمع شيئاً، أضاء النور، ودخل إلى الردهة... الألعاب والأثاث الملون بألوان زاهية والصور المعلقة على الجدران، كل شيء في مكانه.

صعد إلى الطابق العلوي من المركز، فوجد جميع الغرف خالية، بعدها نزل إلى المطبخ، وهناك سمع أنيناً... شعر جو بالخوف، فحمل سكيناً كانت موضوعة على الطاولة وفتح الباب، وراح يصرخ: «كليم... كليم؟»

كان الأنين آتياً من الزوايا البعيدة، وكأنها أصوات فئران. تذكر جو السجن، وما عاناه هناك ولكن بإرادة قوية

www.rewity.com

دفع بتلك الذكريات بعيداً وقال في نفسه: لو كان براد هنا، فلا بد له إلا أن ينتبه لوجوده... نزل جو السلم، وأخذ يصرخ من جديد: «كليم... كليم.»

سمع صوت كليم الخافت، يقول: «إنني هنا...»

تمنى جو جلب المشعل الكهربائي معه، انحنى نحو الثقب الحراري ودار حول الفرن... لقد أزعجه الظلام تماماً كما حصل في البهو في منزلها ولكنه الآن لن يستطع الرجوع... وجد جو بابين خشبيين غير مطليين.

دفع الباب الأول وفتحه فكانت الغرفة عبارة عن مخزن صغير وهي مظلمة إلا من وميض خفيف كان قد اخترقها من النافذة الصغيرة الموجودة فيها... عاد جو ودخل الغرفة الثانية، وكانت مليئة بالألعاب والدراجات، وكانت مليئة ببيوت العناكب دفعها جو بجسده، ودخل، قالت كليم: «الصناديق... لا أستطيع إزاحتها؟»

وضع جو السكين في جيبه، ورأى كليم وهي متسخة الوجه والثياب، فركع بجانبها وقال: «هل أنت بخير؟ هل كان براد؟»

«براد؟ لا...»

نظر جو إليها فوجد بعض الخدوش في جبهتها، وراح يمسحها بيده، أجفلت كليم، وقالت: «كان حادثاً أحمق. نحن نضع بعض الأمتعة في هذه الصناديق، وحين أتيت لأفرغها، وقعت علي... ولا يوجد أحد هنا غيري.»

أزاح جو الصناديق إلى جانب واحد، وبعدها ساعد كليم على الوقوف فقالت: «إنني أشبه صغار مايجور... لا أستطيع الوقوف.»

«إذا أنهضتك من مكانك، سنضرب رؤوسنا بفتحة الفرن... هنا، تمسكي.»

وبعد المقاومة، وبصعوبة شديدة، استطاع جو تخليص كليم، وأجلسها على كرسي كبير في المدخل بعد أن أنار جميع الأضواء. كانت كليم متعبة كثيراً، مما جعله ينقلها إلى الطوارىء، وبعد أن أجريت لها الفحوص اللازمة، نقلها إلى البيت لترتاح.

إنها الساعة الحادية عشرة والنصف. ولم يندهش جو لأن سيارة غراهام كانت متوقفة على الطريق. وقال: «إنهما في المنزل.»

كانت كليم شاحبة اللون، ومتعبة، وقالت: «آه، عزيزي... جو، إنني آسفة لجعلك تنزل إلى بهو آخر.»

وبدهشة كاملة، قال: «في الواقع، لم أتأثر بذلك... ولكني كنت قلقاً من أجلك. لقد تصورت أن براد قد أتى إليك، وهذا ما جعلني أحمل السكين معي.»

«لم أسألك لماذا ذهبت إلى مكان عملي؟»

«بعد أن قضيت عدة ساعات وأنا ألعنك ظناً مني أنك تواعدت مع أحدهم، تذكرت بأنني سمعتك تقولين البارحة، بأنك ستأتين باكراً إلى البيت، وهذا ما جعلني أقلق أكثر. فقد كان مركز العناية هو المكان الذي يجب أن أبدأ منه.»

«سعيدة... نعم إنني سعيدة لفعلك... فأنا لم أكن أريد قضاء الليل هناك... بيوت العناكب كانت تملأ المكان.»

«هل ما زلت على وعدك للقاء مانويل نهار الخميس؟»

«نعم. وأنا لا أملك القوة لأناقش ذلك معك الآن.»

كان جو أيضاً لا يريد مناقشتها بهذا الموضوع، لأنه هو

أيضاً متعب، نزل من السيارة، وساعد كليم على النزول منها، وهناك التقيا بآرابيللا التي فوجئت بمنظر كليم، وأخذت تستفسر عن الأمر. صعدوا إلى البيت وأخذوا يتكلمون بالموضوع، وبعد نصف ساعة ذهب غراهام إلى الفندق، وصعد جو إلى سريره.

لقد كانت كليم صادقة معه، فهي وعدته بالمجيء باكراً إلى البيت، لكن الحادث جعلها تتأخر. ومع ذلك، هذا لا يغير حقيقة متابعة مواعدتها لرجال آخرين، مما سيجعله يعاني مجدداً من الغضب، الألم والغيرة.

بقيت كليم في اليوم الثاني في البيت، وكان غراهام وآرابيللا قد دللاها كثيراً، بينما أمضى جو نهاره في مكتبة القانون، وهو يعيد تمرسه في الحالات البيئوية، متجاهلاً ألماً كان يشعر به في صدره وتناول بعد ذلك البيتزا والشراب.

عادت كليم نهار الأربعاء إلى عملها، وأمضى جو صباحه في مقابلة رئيس الجمعية، وعندما عاد إلى البيت للغداء، وجد غراهام وآرابيللا جالسين في المطبخ وهما متشابكا الأيدي. كانت آرابيللا تبدو شابة، وغراهام يبدو وكأنه أصغر بعشر سنوات، قال جو: «ماذا هناك؟»

قال غراهام: «سنتزوج.»

قالت آرابيللا، وعيناها الزرقاوان تلمعان: «هذه المرة ستكون أفضل من المرة السابقة، إنني أعرف ما أريد الآن... بخلاف ما كنت عليه منذ خمسة عشر عاماً.»

قبّل جو آرابيللا، وعانق والده، وقال: «إنني حقاً سعيد لأجلكما، هل سأكون مدعواً لحفلة الزواج!»

قال غراهام: «طبعاً، سندعوك أنت وكليم.»

تغيّر لون وجه آرابيللا، وقالت: «أخشى أن لا تُسعد كليم بهذا، كما فعلت أنت، يا جو.»

قال جو وهو يعلم ردّها مسبقاً، لأنه حاول ذلك من قبل: «امنحاها بعض الوقت لتقتنع بذلك.»

قال غراهام: «ماذا فعلت معها، فليس هناك أية إشارات تدل على ارتباطك بها.»

استدار جو، وأخذ يبحث عن صندوق جديد من أكياس الشاي في الخزانة، وقال: «هل تظن أن ذلك سينفع؟ أي نوع من الشاي تريد؟ الشاي الأسود الممتاز، أم ماركة الماركيز الرمادي؟»

قاطعت آرابيللا ذلك الحديث، وقالت: «لكنك تحبها!»

أجاب غراهام: «أريد ماركة الماركيز الرمادي.»

هزّ جو كتفيه، وتمنى لو أنه لا يتكلم أبداً بذلك الموضوع: «رقصة التانغو تحتاج إلى اثنين، يا آرابيللا. وكليم لا تريد ذلك.»

قالت آرابيللا: «أشعر وكأنني أنا السبب في ذلك، ربما إذا كلمتها أستطيع إقناعها...»

أجاب غراهام: «ربما يجب عليك أن تتركيهما يقنعا نفسيهما بالأمر، وسيكون ذلك أفضل.»

«أريد أن أرى كل من حولي سعيداً، كما أنا سعيدة.»

«لا تستطيعين فرض كل تلك الأفكار عليهما، يا آرابيللا... لدينا الكثير من السندويشات هنا، يا جو، إنها في البراد. كيف كان لقاؤك مع رئيس الجمعية صباح اليوم؟»

كان جو ممتناً لوالده لأنه أنقذه من ذلك الحديث، قام وأحضر السندويشات وراح يحدثه عن اجتماعه مع الرئيس. وبعد الغداء عاد إلى المكتبة، ولم يرجع إلى البيت قبل السادسة، ليفسح المجال لغراهام وآرابيللا بأن يتكلما مع كليم. لكنه عندما وصل إلى الباب سمع غراهام يقول: «... نتزوج. إننا سعيدان جداً، يا كليم، ونأمل أن تجعلك أخبارنا سعيدة.»

خيمت فترة قصيرة من الصمت. ثم قالت كليم: «تهاني الحارة! يا امّاه... غراهام أقدمها إليكما.»

قالت آرابيللا بحدة: «إذن، أنت لا تمانعين في ذلك؟»

«طبعاً لا! وكيف ذلك؟ وعلى كل أنا لست في العاشرة من عمري، امّاه.»

سُرّ جو لذلك، وهي التي أحسنت صنعاً، لأنها تحاول عدم جرح شعور أمها ولا غراهام. لكنها لم تقل الحقيقة، يفكر جو. فقولها هذا ليس صادراً من قلبها...

أما آرابيللا فقد تقبلت كلامها بسعادة، وقالت: «آه، أنا سعيدة يا عزيزتي، فأنا أعلم أن هذا زواجي الخامس...»

قال غراهام: «الخامس والأخير.»

«حسناً، طبعاً، ولكني كنت خائفة من رفضك لهذه الفكرة.»

قالت كليم: «اطمئني يا أمّاه فأنا راضية بذلك.»

أجابت آرابيللا: «رائع! ومن يعلم، ربما قريباً ستجعلين جو سعيداً كما نحن سعيدين، يا عزيزتي.»

تقدم جو خطوة إلى الأمام، قال غراهام: «آرابيللا...»

«أعرف أني وعدتك بعدم ذكر ذلك، يا غراهام، ولكن كل

ما أريده الآن هو سعادة كليم وجو، كي نكون كلنا عائلة سعيدة.»

قالت كليم حين سمعت أمها تقول ذلك: «لست أكيدة من أنني أفهم عما تتحدثين، يا امّاه.»

قالت آرابيللا: «إن جو يحبك يا عزيزتي، ويريد الزواج منك.»

خشي جو من قلة احترام كليم له، حينها أجابت: «هذه أخبار جديدة لم أسمعها من قبل، لا أريد الزواج من أحد، يا امّاه... والآن كيف علينا الاحتفال بخطوبتكما؟»

قال غراهام: «غداً سأشتري خاتماً من الياقوت الأصفر يتلاءم مع لون عينيك، يا آرابيللا. وعند المساء، إذا كنت لا تمانعين طبعاً، يا كليم، سآخذها إلى أفضل مطعم في هذه المدينة، حيث يقدم كل شيء من الكافيار إلى أفضل المشروبات.»

حاول جو الخروج من مكانه قبل أن يراه أحد، وكان قد عرف أن كليم قد قامت بعمل حسن، لم يتوقعه منها بالنسبة لآرابيللا وغراهام، ولكنه لم يعرف إلى متى ستستطيع إخفاء رأيها الحقيقي بما يتعلق بموضوع زواجهما.

تراجع جو خلسة بعيداً عن المدخل، متمنياً أن لا يراه أحد من الجيران، تقدم نحو الباب من جديد ودفعه وهو يدندن أحد ألحان هانديل وقال: «هل يوجد أحد هنا في البيت؟»

بعد ساعة، وبعد الحديث عن الحب والزواج، خرج غراهام وآرابيللا إلى المدينة، وبعد أن لوحت بيدها مودعة

وهي واقفة على الباب الأمامي، أغلقت كليم الباب، ودخلت. أغمضت عينيها، وقالت: «الحمد لله لقد انتهيت من هذا... فأنا أشعر بصداع يكاد ينفجر رأسي منه.»

قال جو: «لقد ضُربت على رأسك من جراء وقوع صندوق عليه منذ ثمانٍ وأربعين ساعة... هل تتذكرين ذلك؟»

فتحت كليم عينيها، وراحت تكلمه وكأنه في اليوم الأول لقدومه إلى منزلها: «دعنا لا نلعب في الكلام، يا جو.»

«حسناً... لماذا تعانين الصداع؟»

«لأن أمي ستتزوج للمرة الخامسة، ولأنها أخبرتني بأنك تحبني وتريد الزواج مني.»

شعر جو بالسعادة لأن كليم تكلمه مباشرة في هذا الموضوع، وقال: «أنا لا أستطيع أن ألومك لأنك تقولين الحقيقة، يا كليم، فإني لا أستطيع التدخل بينك وبين والدتك، ولكن، نعم... أنا أحبك، وأتمنى أن تتزوجي مني.»

قالت كليم: «ليس من اللباقة أن تخبر أمي عن حبك لي وطلبك الزواج مني قبل أن تأخذ رأيي في الموضوع.»

«أظن بأنه ليس من المفترض أن أخبر أحداً بذلك... فهذا الشيء يخصني وحدي. لكن الجميع لاحظوا ما لم تستطيعي رؤيته.»

قالت كليم بحدة، وكأنها تريد أن تقاتله: «هذا لأني فعلاً لا أريد ذلك، لقد دمرت كل شيء بيننا! لماذا لا نكتفي بتلك العلاقة التي بيننا؟ وهذا لا يدعونا للحديث لا عن الحب ولا الزواج... فنحن الاثنين نكتفي فقط بعلاقاتنا. لأنك بذلك تسعدني... فأنا أحب كل ما فعلناه.»

وبخوف مطلق من الدقائق القليلة المقبلة التي ستقرر

مصيره، قال: «لقد أحببت علاقاتي معك، لأنني أحبك، يا كليم... فأنا لا أستطيع الفصل بين الاثنين. السبب هو أنني لا أريد أن أشاركك شعوري لمجرد مشيئتك بإقامة علاقة معي فقط، فأنا كنت أمنحك الوقت الكافي لتشاركيني حبي... حتى بعد الزواج. لقد كنت أمنحك الوقت لتثقي بي. ولهذا السبب لم أكن أريد مجيء والدتك في هذا الوقت.»

«أنت من دعا غراهام إلى هنا.»

«أنا لا أريد الاعتذار لذلك. فهو وأمك ينتميان لبعضهما.»

«بالتأكيد... لأي فترة من الوقت؟»

حدّق جو بعينيها، وقال: «لبقية حياتهما. وهذا ما أريد أنا أيضاً، أن نكون أنا وأنت معاً إلى الأبد. هذا ما يعنيه حبي لك.»

أخذت كليم تصرخ وبوحشية: «أنا لا أستطيع مواجهة هذه العاطفة الثقيلة والمفروضة عليّ. لا يمكنك الوثوق بها. لا أهتم لما تقوله... فهذا لن يدوم.»

وبكل قوة تظهر مدى شخصيته، قال جو: «تزوجي مني، كليم.»

«أظن بأني سأكون مجنونة لو فعلت ذلك!»

قال جو: «لا أستطيع ضمان أي شيء. ولكني أعلم بأنه من دون مخاطرة ستموتين أنت أيضاً. لو كان هذا هو الحل الأكيد الذي تسعين إليه فسوف تلاقين الخيبة باستمرار. أنا أحبك، يا كليم. سأحبك إلى أن أموت... ولا تسأليني أن أشرح لك المزيد، لأنني لا أستطيع ذلك. ولكنني أعرف أنه يجري في دمي، يسكن عظامي... وأنك أنت المرأة التي خُلقت لي، في مخدعي، إلى جانبي، تحمل أطفالي، وتتقدم

في السن معي. أنت من أريد، وأقسم لك بأني سأكون مخلصاً. وسأحبك إلى آخر يوم من عمري، غامري بذلك... لأني أهبك روحي وجسدي.»

شحب لون وجه كليم، وانمحى الغضب منه، وقالت: «إنك تخيفني عندما تتكلم هكذا، يا جو... لا أستطيع أن أفعل ذلك، لا أستطيع!»

تقدم جو نحوها، مدركاً بأنه لن يلمسها. شعر بأن هذا جزء من معركة حياته الطويلة، وقال: «بل تستطيعين، أعرف أنك تستطيعين. فأنت امرأة، صادقة، عاطفية، وجريئة... أعرف هذا.»

هزّت كليم رأسها، وقالت: «إنك تعمي عينيك حتى لا ترى حقيقتي... فأنت ترى ما تريد رؤيته فقط. لا أستطيع الزواج منك، إنني خائفة من ذلك. ويجب عليك أن تصدقني، لأنها الحقيقة.»

كانت كليم أيضاً صادقة معه. شعر جو وكأن العالم يترنح تحت قدميه، وقال: «لا... لا، إنها ليست الحقيقة، يا كليم.»

سالت دموع كليم على خديها، وكان التوتر يظهر على جسدها ووجهها، وقالت: «إنها الحقيقة. أنا آسفة. أنا حقاً آسفة، أنا لم أقصد إيذاءك.»

لقد قصدت ذلك. لقد انتهى جو، شعر بفراغ كبير في داخله. فراغ عندما يصل إلى أقصى حدوده يتحول إلى ألم مبرح، يجب أن يسرع في الخروج قبل حدوث ذلك. قالت كليم بحدة: «جو! هل أنت بخير؟ إلى أين أنت ذاهب؟»

لم يكن لديه أية فكرة عن ذلك. وكل ما يعرفه هو أنه لا

يريد أن يبقى معها ولو لدقيقة واحدة في الغرفة نفسها، قال بصوت خافت: «إنني على ما يرام، سأخرج لبعض الوقت، وسأعود لاحقاً.»

«يجب عليك ألا تقود السيارة...»

«إنني بخير.»

نزل جو السلم على مهل، صعد إلى سيارته، وهو لا يعرف إلى أين سيذهب، ولكنه لا يريد رؤية ذاك البيت، الذي أتى إليه كي يعالج نفسه فيه، والذي أحب صاحبته التي جعلت أيامه القليلة الماضية أسعد أيام حياته.

قاد جو السيارة، دون أن يدري أين بات، إلى أن أصبح خارج المدينة.

بعد ساعتين وصل إلى الصخور القائمة بالقرب من الشاطىء، المكان الذي قاموا بزيارته نهار السبت. ترجل جو من السيارة، وانغرست قدماه في الرمال، وراحت النباتات المبتلة تلتصق بكاحليه. كانت الشمس تغطس بين الغيوم في البحر بوميض برتقالي ذهبي، والأمواج التي تغسل الرمال المبتلة كانت ملونة بالألوان النارية نفسها. كان الشاطىء مقفراً من الناس، راح جو يمشي، وهو لا يعرف المكان الذي يريد الذهاب إليه.

وضع جو يديه في جيبيه، وهو يمشي على الطريق نفسها، والأمواج تبلل جسده، لم يكن يفكر بأي شيء، لأنه لم يكن قادراً على ذلك. كان الألم يغزو جسده، كل موجة تقول له إن كليم لا تحبه، وإنها لن تتزوج منه... فقدْ فَقَدَ أحلامه معها، وأصبح الآن وكأنه في تلك الحفرة المظلمة في السجن.

غابت الشمس وتحول لون المياه إلى اللون الأسود، كذلك الثوب الذي ارتدته كليم. كانت الرياح قوية، فشعر بالبرد، لأنه كان يرتدي قميصاً فقط.

كانت الرياح تشتد، والأمواج تعلو، أما رائحة أشجار الصنوبر فقد ملأت المكان.

جلس جو على صخرة، وضع ركبتيه بالقرب من ذقنه ليحمي نفسه من برد قارس كالذي صادفه في أول يوم ذهب فيه إلى بيت كليم. كليم... كانت أسنانه تصطك، حاول أن يوقفها عن ذلك فلم يستطع، كان يشعر ببرد لن يستطيع بعده أن يشعر بأي دفء... ربما هذا هو الموت. حتى لو كان مصيره جهنم، سيكون هناك جليد وليس ناراً لعقابه.

أستطيع أن أمنح روحي مقابل أي معطف. لا، فكر وهو مضطرب، إن كليم هي الشخص الذي يريد أن يمنحها روحه.

شعر جو فجأة، بحرارة شديدة تنتابه، وبطعنة من الألم في رأسه، رفع رأسه وراح يشاهد الأمواج الواحدة تلو الأخرى.

أيها الغبي، جو... إنها الملاريا. تظن أنك تعاني من تعاستك في الحب، وفي الحقيقة أنت تعاني من الملاريا وكل الأدوية التي تحتاج إليها موجودة في غرفتك في بيت كليم.

وضع جو يده على وجهه، الذي كان ذا حرارة مرتفعة جداً، وشعر بعطش شديد. فقد شعر بذلك مسبقاً في السجن، عندما تركوه يومين من دون ماء...

إنه ليس في السجن الآن. إنه حرٌ طليق، يستطيع أن يقود

سيارته ليطلب المساعدة، لقد كان بحاجة ليجد أحداً يساعده في الوصول إلى البيت. حاول جو أن يعود أدراجه، وهو يشعر بصداع في رأسه، وصدى في أذنيه، كان يبدو وكأنه إنسان ثمل وهو يتمايل في مشيته.

حين وصل إلى نصف الطريق تقريباً لم يستطع المتابعة، جلس أرضاً على الرمال المبتلة، والتي جعلته يشعر ببرودة تحت جسده الساخن. وضع جو خده على الرمل وأغمض عينيه. تمدد على الشاطىء وكأنه قطعة حطام من سفينة محطمة.

عندما استيقظ جو، سمع صوت المطر. كان ممدداً على سرير، فتح عينيه وجد أنه موجود في غرفة سقفها مطلي باللون الأبيض، وسمع كليم تقول: «جو! آه، جو، هل استيقظت؟»

لم تكن كليم في السرير معه، استدار وجهه ورآها تجلس بجانب السرير، تبكي والدموع تسيل على يده التي احتضنتها، كان السقف أيضاً أبيض اللون، ولكنها ليست إحدى غرف كليم، بل كانت في المستشفى.

أخذ جو يعيد تفكيره لما حصل له، حين رفضته كليم ذهب إلى الشاطىء، وأصيب بنوبة الملاريا، فقال لكليم: «كيف أتيت إلى هنا؟ وأين أنا؟»

وضعت كليم يديها على وجهها، كانت ترتدي قميصاً من اللون الليلكي الجميل، نظر جو إليها، وشعر بنار تلتهم قلبه لشدة حبه لها. الحب الذي لا تريده. قال: «يا للجحيم، ماذا تفعلين هنا؟»

جلست كليم على الكرسي وكان لون خديها يميل إلى اللون الوردي وقالت: «كان شخصان من لوننبرغ يسيران على الشاطىء عند منتصف الليل، وكلبهما معهما... فوجدك الكلب ممداً على الشاطىء. فحملاك وأتيا بك إلى أقرب مستشفى، وبعدها اتصل بي الطبيب... كان عنوانك موجوداً على رخصة القيادة معك. آرابيللا وغراهام موجودان في الرواق. وأنا موجودة هنا لأنني أحبك.»

ظن جو بأنه لم يسمعها جيداً، استلقى على ظهره، وقال لها: «لا تحاولي أن تخدعيني، يا كليم. أنت لا تحبينني... لقد سببت لي الكثير من الألم البارحة بسبب هذا الموضوع، والآن تقولين خلاف ذلك.»

قالت كليم وهي متشنجة الأعصاب: «لقد غيّرت رأيي. حسناً، لا، هذه ليست الحقيقة. أظن أن ما فعلته كان اكتشافاً عقلياً. أدرك ما أعرفه منذ زمن بعيد، ولكني كنت أرفض الاعتراف به... ربما كنت أعرفه مذ كنت في العاشرة من عمري.»

كان جو يشعر بأن دقات قلبه تزداد بسرعة، وهو يعي أن الأطباء لن يعرفوا سبب ذلك، وقال: «هذا إذن ما تشعرين به... إذا كنت فعلاً تحبينني، لِمَ لا تريدين الزواج مني؟ هل أنت خائفة، لقد سبق وقلت ذلك؟»

قاطعته كليم: «أنت لا تبدو الإنسان الذي يريد مساعدتي!»

أجابها جو بصوت عالٍ: «ولِمَ أكون كذلك؟ لقد عشت بسببك أسوأ ليلة في حياتي... أنا أحبك، على الرغم من أني لا أملك قوة أحد صغار مايجور إلا أنني أريد أن أحملك،

وأضعك في السرير. ولكن لا أريد فعل ذلك، إذا كنت ستحتفظين بمواعدة الشبان أمثال مانويل!»

«لقد غيّرت رأيي في ذلك أيضاً.»

«ماذا تعنين؟»

وضعت كليم يدها على صدره ودفعته على الوسادة، وقالت: «نمْ، تبدو متعباً. إنني أحاول أن أخبرك بأني نضجت كثيراً في الاثنتي عشرة ساعة الماضية. بعدما غادرت شعرت بالخوف عليك، وعندما عاد غراهام ووالدتي إلى البيت، تشاجرت أنا وأمي، وكانت مشادة قوية.» عضت كليم شفتها، وكان وجهها مزيجاً من الخجل والحب: «لقد تكلمنا عن أشياء كثيرة، كانت قد حصلت منذ عدة سنوات، وجدنا أنفسنا فجأة نعانق بعضنا بعضاً والدموع تسيل من عيوننا، وقلنا كم نحب بعضنا، وكم نحن بحاجة لبعضنا... لقد كان مشهداً...»

وضع جو الوسادة تحت رأسه مجدداً، وهو ينظر إلى كليم، ويتصور ذلك المشهد المؤثر، متمنياً أن تضع كليم نفسها على صدره، ولكنه كان يحاول إخفاء ذلك، وقال: «أين كان أبي عندما حصلت كل هذه الأمور؟»

«عندما بدأنا بالحديث، خرج بسرعة مفسحاً لنا المجال للتحدث عن آرائنا بوضوح، لقد كنت غاضبة من أمي منذ عدة سنوات، ولكن ليلة البارحة ولأول مرة أستطعت مواجهة ذلك الغضب. لقد كنت أحمل عبئاً على صدري طيلة تلك السنوات، والآن أحسست بأن هذا العبء قد تلاشى. وهذا ما كان يجعلني أفكر بنفسي ومستقبلي، لقد أذهلني ذلك الشجار الحسن.»

قال جو: «عندما نتزوج، أظن بأنه سيكون لدينا القليل منه.»

قالت كليم وهي تعض على شفتها: «أظن أننا... أنت تعني أنك بعد تلك الليلة، ما زلت تريد الزواج مني؟»

«لقد تكلمنا كثيراً عن المخاطرة الليلة الماضية، أليس كذلك؟»

كانت الابتسامة تظهر على ثغرها وفي عينيها في آن واحد، حين قالت: «في هذه الظروف أنا حتماً لا أتوقع بأن تركع على ركبتك... ولكن أريد عرضاً شكلياً لطلب الزواج بشكل رسمي.»

جلس جو على السرير، أمسك يديها بين يديه، وقال: «كليم، عزيزتي كليم، أنا أحبك... هل تريدين الزواج مني؟»

وضعت كليم رأسها على صدره، وفي تلك اللحظة دخل الطبيب بردائه الأبيض يتبعه ثلاثة أشخاص، فقال جو: «عودوا بعد خمس دقائق... فهي لم تقل نعم حتى الآن.»

قالت كليم: «طبعاً، أنا موافقة.»

قال الطبيب: «سنعطيك نصف ساعة، يا سيد ماكنيل، قبل أن أعود إلى هنا. لكنك أنت أول مُصاب بالملاريا في هذا المستشفى، وهي فرصة ممتازة للفريق الطبي لمشاهدة هذا المرض... حظاً سعيداً.»

أغلق الطبيب الباب، فقال جو: «آه، يا إلَهي، كليم، أنا أحبك. تعالي إلى هنا.»

«لقد بكيت في الساعات القليلة الماضية، أكثر مما بكيته في حياتي من قبل. جو، أنا آسفة. لقد جعلتك تعرض نفسك للخطر بالأمس، إن أسفي يفوق كلامي، لقد كنت متهورة من

دون أن أرى تغيّر أمي، وأنت من ساعدني للتخلص من تلك الحياة التي كان يسودها الخوف. أنا لا أصدق بأني موجودة معك الآن.»

«دعيني أرى إذا كنت أستطيع إقناعك.»

بعد مرور فترة من الوقت، وخلال اكتشاف جو بأنه ليس متعباً لدرجة توقعه للمرض، قالت كليم: «أريد الزواج منك... وأظن أن ثلاثة أطفال هو عدد لا بأس به، أليس كذلك؟»

قال جو، بعد أن عانقها: «تماماً.»

قالت كليم بعد لحظة صمت: «لقد كنت خائفة كثيراً الليلة الماضية، أحسست بأن هناك شيئاً ليس على ما يرام لعدم وجودك في البيت عند منتصف الليل. ولكني لم استطع معرفة المكان الذي يجب عليّ أن أبدأ البحث عنك فيه... لقد كان شيئاً مروعاً. وعندما اتصلوا بي من المستشفى، ولأول وهلة، ظننت أنك مُتَّ، حينها علمت كم أحبك، وأن المجازفة في حبك ليست شيئاً يذكر بالنسبة للمجازفة بخسارتك.»

قال جو: «لم تكن ليلة عظيمة لكل منا، يا كليم، أليس كذلك؟ سيكون هناك حفلتا زفاف... نحن... آرابيللا وغراهام.»

«لا أظنهما يستطيعان انتظارنا.»

قال جو: «أنا أيضاً لا أريد الانتظار.»

بعدها قالت كليم وهي تضع أذنها على صدره: «إن الأطباء لن يعرفوا سبب سرعة نبضات قلبك.»

أجابها: «سوف أزودهم بنظرة جديدة وشاملة عن الملاريا.»

سمعا طرقاً على الباب فوقفت كليم، وعندما دخل الطبيب والفريق المرافق له، كانت كليم تجلس بجانب السرير. تجاهل الطبيب الذي لديه ابنتان وولد متزوجون، خجل كليم ودقات قلب جو المتسارعة وأعلن أن جو بحالة جيدة تسمح له بمغادرة المستشفى وقال ناصحاً: «عليك بالراحة لفترة يومين.»

بعد الغداء خرجت آرابيللا وغراهام ليقوما بالتحضير لمراسم الزفاف، وطلبت كليم يوم إجازة من عملها. في غرفة جو في الطابق العلوي، كانت صغار مايجور تموء في الغرفة، وتجاهل جو وكليم نصائح الطبيب.

تمت